# الفصل الرابع
# العلم فى التفسير بالمأثور للقرآن الكريم


الصفحة

***أولاً : طبيعة العلم فى التفسير بالمأثور لأيات القرآن الكريم :*** ١٤٣

١ - العلم الدينى . ١٤٦

٢ - العلم المتعلق بالجانب الدنيوى فى حياة الإنسان . ١٤٨

***ثانياً : مصادر العلم فى التفسير بالمأثور لأيات القرآن الكريم :*** ١٥٤

١ - العلم إلهى المصدر : ١٥٤

أ - الله سبحانه علم آدم عليه السلام . ١٥٨

ب - الله سبحانه علم رسله وأنبياءه . ١٦٠

جـ - الله سبحانه يعلم بنى آدم . ١٦٦

٢ - الرسل والأنبياء والعلم : ١٦٩

أ - الرسل والأنبياء يطلبون العلم . ١٦٩

ب - الرسل والأنبياء يعلمون بنى آدم . ١٧١

٣ - بنو آدم وطلب العلم : ١٧٥

***ثالثاً : أدوات الإنسان للوصول إلى العلم فى التفسير بالمأثور للقرآن الكريم.*** ١٧٩

١ - العقـــل . ١٨٠

٢ - السمع . ١٨٣

٣ - الرؤيـة . ١٨٤




obeikandl.com

تجلى تكريم الله للإنسان فى معجزة خلقه بكل تفصيلاتها، ثم كان العلم المكرمة الثانية التى أنعم الله بها على الإنسان ، إذ وهبه قدراً من علمه الواسع فكان النعمة العظمى التى توج الله بها هذا المخلوق ، وفضله على غيره من المخلوقات، بما فى ذلك الملائكة المقربون إليه ، فقد قال تعالى: "وعلم آدم الأسماء كلها ثم عرضهم علي الملائكة فقال أنبئونى بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين ، قالوا سبحانك لاعلم لنا إلا ماعلمتنا إنك أنت العليم الحكيم" (البقرة : ٣١، ٣٢)

## أولاً : طبيعة العلم فى التفسير بالمأثور للقرآن :

دعا الإسلام إلى العلم وحث على طلبه ، وصار العلم واجباً على كل إنسان كما صار حقاً له رجلاً كان أو أنثى ، صغيراً كان أو كبيراً، وليس فى الإسلام مايمنع طلب العلم النافع فى أى عمر ولاعلى أية حال ، بل كان فيه دائماً الحرص على نشره والاستزادة منه .

ونال العلماء فى الإسلام كل التكريم، وكانت لهم المنزلة العالية والمكانة المرموقة، وفى التفسير بالمأثور لقوله تعالى : "يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات" (المجادلة : ١١)، عن قتادة قال : إن بالعلم لأهله فضلاً، وإن له على أهله حقاً ، ولعمرى للحق عليك أيها العالم فضل، والله معطى كل ذى فضل فضله"(١) .

فقد كرم الله العلماء ورفعهم درجات، فكانوا فى الدرجة الثالثة بعد الله سبحانه وتعالى وبعد الملائكة، كما فى قوله تعالي :"شهد الله أنه لاإله إلا هو والملائكة وأولو العلم قائماً بالقسط" (آل عمران : ١٨) ، وزاد الله فى تكريمهم ،فجعلهم فى المرتبة الثانية، كما فى قوله تعالى : "وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون فى العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا" (آل عمران : ٧) وفى التفسير بالمأثور للأية الكريمة يعرف رسول الله صلى الله عليه وسلم الراسخ فى العلم بأنه : "من برت يمينه، وصدق لسانه، واستقام به قلبه وعف بطنه فذلك الراسخ فى العلم"، وقال الطبرى : "هم

---

(١) عن قتادة (سنده) : "حدثني بشر قال ثنا يزيد قال ثنى سعيد عن قتادة" .
- تفسير الطبرى : جـ٢٨ ،ص١٤ .

العلماء الذين اتقنوا علمهم ووعوه فحفظوه حفظاً لايدخلهم فى معرفتهم وعلمهم بما علموه شك ولالبس"[1] .

وفى التفسير بالمأثور للأية السابقة رأيان، الرأى الأول أن تكون الراسخون معطوفة على لفظ الجلالة أى ومايعلم تأويله إلا الله والراسخون فى العلم، وهم مع علمهم بذلك ورسوخهم فى العلم يقولون أمنا به كل من عند ربنا، وممن قال ذلك ابن عباس قال أنا ممن يعلم تأويله"[2] وهذا مما يؤكد القول بأن الله قد رفع العلماء إلى الدرجة الثانية.أما القول الثانى فى تفسيرها أن الراسخين فى العلم مستأنف ذكرهم بمعنى الخبر عنهم يقولون آمنا بالمتشابه وصدقنا أن علم ذلك لايعلمه إلا الله ومن ذلك: عن عائشة رضى الله عنها قالت كان رسوخهم فى العلم أن أمنوا بمحكمة ومتشابهه[*]

---

(١) عن رسول الله صلى الله عليه وسلم (سنده) : "حدثنا موسى بن سهل الرملي قال ثنا محمد بن عبدالله قال ثنا فياض بن محمد الرقى قال ثنا عبد الله بن يزيد بن أدم عن أبى الدرداء وأبي أمامة قالا: عن رسول الله صلى الله عليه وسلم" .

- تفسير الطبرى : حـ٣، ص١٢٣.

(٢) عن ابن عباس (سنده) : "حدثنى محمد بن عمر قال ثنا أبو عاصم عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد عن ابن عباس" .

- تفسير الطبرى : حـ٣ ، ص١٢٢ .

(*) وورد تعريف المحكم والمتشابه من أيات القرآن الكريم في التفسير بالمأثور لقوله تعالى "هو الذى أنزل عليك الكتاب منه أيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات " (آل عمران: ٧) قال أبو جعفر : "اختلف أهل التأويل في ذلك فمنهم من قال مثل ماحدثنى به محمد بن سعد قال ثني أبى قال ثنى عمي قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس المحكمات الناسخ الذى يدان به ويعمل به،والمتشابهات هن المنسوخات التى لايدان بهن ≥ وقال آخرون مثل ماحدثنى محمد بن عمرو قال ثناأبو عاصم عن عيسي عن ابن أبى نجيح عن مجاهد المحكمات مافيه الحلال والحرام، وماسوى ذلك فهو متشابه يصدق بعضه بعضاً وهو مثل قوله "ومايضل به إلا الفاسقين" ومثل قوله "كذلك يجعل الله الرجس علي الذين لايؤمنون"، وقال آخرون مثل ماحدثنى ابن حميد قال ثنا سلمه عن محمد بن إسحق قال ثنى محمد بن جعفر بن الزبير المحكمات فيهن حجة الرب،وعصمة العباد وليس لها تصريف ولاتحريف عما وضعت عليه، وأخر متشابهة فى الصدق لهن تصريف وتحريف وتأويل ، ابتلى الله فيهن العباد كما ابتلاهم فى الحلال والحرام، ولايصرفن إلى الباطل ولايحرفن عن الحق"

- تفسير الطبرى : جـ٣، ص١١٤ : ١١٧ .

ولم يعلموا تأويله[1] . وقال أبو جعفر الطبرى بالرأى الثانى .

ولقد ذكر الله العلماء فى أيات كثيرة بالقرآن الكريم ، وذلك تقديراً وتكريماً لهم، ونعتوا فيها بأنهم أولو العلم، وبأنهم الذين أوتوا العلم ، وهم الراسخون فى العلم .

كذلك ذكرت لفظة "سيد" من مسميات أهل العلم، ففى التفسير بالمأثور لقوله تعالي : "إن الله يبشرك بيحيى مصدقاً بكلمة من الله وسيداً وحصوراً ونبياً من الصالحين" (آل عمران : ٣٩) عن قتادة قال : أى والله لسيد فى العبادة والحلم والعلم والورع" . وعن سعيد بن المسيب ، قال السيد هو الفقيه العالم"[2] .

وعن سمو منزلة العلماء ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "إن الله لايقبض العلم انتزاعا ينتزعه من الناس ولكن يقبض العلم بقبض العلماء حتى إذا لم يترك عالماً ، اتخذ الناس رؤساء جهالاً، فسئلوا فأفتوا بغير علم ، فضلوا وأضلوا"[3].

---

=== ويتضح مماسبق أن لأيات القرآن المحكمات والمتشابهات ثلاثة تعريفات هي :

أولاً : المحكمات : هى الناسخات التى يعمل بها ويدان بها .

المتشابهات : هي المنسوخات التي لايعمل بها ولايدان عليها .

ثانياً : المحكمات : هى ماأحكم فيه بيان الحال والحرام .

والمتشابهات : ماشابه بعضه بعضاً فى المعانى وإن اختلفت ألفاظه .

ثالثاً : المحكمات : مايحتمل من التأويل وجهاً واحداً .

المتشابهات : مااحتمل من التأويل أوجهاً.

(١) عن عائشة رضى الله عنها (سنده) : " حدثنى محمد بن عبد الله بن الحكم قال ثنا خالد بن نزار عن نافع عن ابن أبى مليكة عن عائشة رضى الله عنها" .

- **تفسير الطبرى** : حـ ٣ ، ص١٢٢ .

(٢) عن قتادة (سنده) : "حدثنى بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة" .

عن سعيد بن المسيب (سنده): "حدثنى سعيد بن عمرو السكونى قال ثنا بقية بن الوليد عن عبد الملك عن يحيى عن سعيد بن المسيب .

- **تفسير الطبرى** : جـ٣ ، ص١٧٣ .

(٣) عن رسول الله صلى الله عليه وسلم (سنده) : "حدثنى يحيي بن هشام قال حدثني أبى قال سمعت عبد الله بن عمرو يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول :

- الامام أحمد بن حنبل : **المسند**، مرجع سابق ، حـ١ ، رقم ٦٥١١، ص٢٢ .

وأعطى الله بنى آدم القدوة الصالحة فى حرص رسله وأنبيائه على طلب العلم، وفي قيامهم بتعليم أهليهم ، فأصبح واجباً على كل مسلم أن يحذو حذوهم فيسعى إلى طلب العلم، دون أن يشغله عن ذلك شاغل ، وألا يكترث بالصعوبات التى قد تعوقه ، بل يصر على اجتيازها .

ومجال العلم واسع فهو يشمل العلوم الدينية التى أودعها الله لبنى آدم فى مصدرين هما القرآن الكريم والسنة النبوية، ومايتصل بهما ويتشعب عنهما من علوم دينية عديدة كالتفسير والفقه والعبادات وعلم الحديث والأحكام والشريعة وغيرها ، ويدور فى فلكهما من اجتهادات العلماء والدارسين. كما يشمل أنواعاً أخرى من العلوم تتصل بالجانب الدنيوى فى حياة الإنسان، وتسعى إلى إثبات الحقائق فيما يتعلق بالكون بجميع عناصره الحية وغير الحية .

ويمكن توضيح ذلك من خلال التفسير بالمأثور لأيات القرآن الكريم :

**١ - العلم الديني :** يتضح تعريف العلم الدينى من خلال التفسير بالمأثور للأيات القرآنية التى تناولت ذكر العلماء والعالمين والذين أوتوا العلم ، ففى قوله تعالى : "إنما يخشى الله من عباده العلماء" (فاطر : ٢٨) عن ابن عباس قال : "العلماء الذين يعلمون أن الله علي كل شئ قدير"، وعن قتادة قال : كان يقال كفى بالرهبة علماً"[١] .

وفى تفسير قوله تعالى : "وتلك الأمثال نضربها للناس ومايعقلها إلا العالمون"(العنكبوت : ٤٣) ، قال الطبرى : "العالمون بالله وأياته"[٢] .

---

(١) عن ابن عباس (سنده) : "حدثنى على قال حدثنا عبد الله قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس" .

عن قتادة (سنده) : "حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة .

- **تفسير الطبرى** : حـ٢٢، ص٨٧ .

(٢) تفسير الطبرى : حـ ٢٠ ، ص٩٨ .

وفى التفسير بالمأثور : لقوله تعالى :"بل هو أيات بينات فى صدور الذين أوتوا العلم وما يجحد بأياتنا إلا الظالمون" (العنكبوت : ٤٩) قال أبو جعفر الطبرى : "فى تفسير هذه الأية قولان : الأول أن المقصود بالذين أوتوا العلم أهل الكتاب ، وأنه عنى بالأيات البينات نبى الله صلى الله عليه وسلم . عن ابن عباس قال كان الله تعالى أنزل شأن محمد صلى الله عليه وسلم فى التوراة والأنجيل لأهل العلم ، وعلمه لهم وجعله لهم أية ، فقال لهم أن أية نبوته أن يخرج حين يخرج لايعلم كتاباً ولايخطه بيمينه وهى الأيات البينات، والقول الثانى يرى أنه عنى بالأيات البينات القرآن فى صدور الذين أوتوا العلم من المؤمنين بمحمد صلى الله عليه وسلم. عن الحسن قال يعنى المؤمنين. (٢)

وكان للتفسير بالمأثور رأى بشأن تقدم ذكر العلم على الإيمان فى قوله تعالى : "وقال الذين أوتوا العلم والإيمان لقد لبثتم فى كتاب الله إلى يوم البعث.." (الروم : ٥٦) فقد كان قتادة يقول هذا من المقدم الذى معناه التأخير، عن قتادة قال هذا من مقاديم الكلام وتأويلها: وقال الذين أوتوا الإيمان والعلم ، وذكر عن ابن جريج أنه كان يقول معنى ذلك : وقال الذين أوتوا العلم بكتاب الله، والإيمان بالله وكتابه. (٣).

فالله سبحانه قد وهب المؤمنين من بنى أدم العلم بدينهم وأصوله ، كما علمهم العبادات المفروضة عليهم من صوم وزكاة وحج وصلاة ، والأمثلة على ذلك كثيرة تحفل بها أيات القرآن الكريم، ومنها ماجاء في التفسير بالمأثور لقوله تعالى : "فإن خفتم فرجالاً أو ركباناً فإذا أمنتم

---

(٢) عن ابن عباس (سنده) : حدثني محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس" عن الحسن (سنده) : "حدثنى القاسم ثنا الحسين قال ثنا أبو سفيان عن معمر عن الحسن" .

- تفسير الطبرى : جـ٢٠ ، ص٥ .

(٣) عن قتادة (سنده) : "حدثنى بشر قال ثنى يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة" .

- تفسير الطبرى : جـ٢١ ، ص٣٧ .

فاذكروا الله كما علمكم مالم تكونوا تعلمون" (البقرة : ٢٣٩) عن إبراهيم فى تفسير قوله فرجالاً أو ركباناً قال عند المطاردة يصلى حيث كان وجهه راكباً أو راجلاً ويجعل السجود أخفض من الركوع ويصلى ركعتين يومئ إيماء" وقوله تعالى : "فإذا أمنتم .. قال أبو جعفر الطبرى : "فإذا أمنتم فزال الخوف فأقيموا صلاتكم وذكرى فيها وفى غيرها مثل الذى أوجبته عليكم قبل حدوث حال الخوف وبعده"[١] ، فالتعليم هنا خاص بتعليم الصلاة فى حال الأمن وفى حال الخوف وقيل وفى السفر .

وهذا العلم الدينى الواسع ، المتعدد الجوانب ، يعد خيراً عظيماً ينعم الله به على من يرضى عنه من عباده، عن ابن عباس أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : من يرد الله به خيراً يفقهه فى الدين.[٢] .

## ٢ - العلم المتعلق بالجانب الدنيوى في حياة الإنسان :

وورد فى التفسير بالمأثور لأيات قرآنية عديدة أن الله سبحانه وتعالى كان يعلم بنى آدم ويؤتهم من العلم مايتعلق بالجانب الدنيوى فى حياتهم تحقيقاً لأمره لهم بتعمير هذا الكون المسخر لهم "وسخر لكم مافى السموات ومافى الأرض جميعاً". (الجاثية: ١٣) فقد أباح لهم البحث عن الحقائق المتعلقة بالكون بكل عناصره، ودعاهم إلي تعميره والسعى فيه من أجل طلب الرزق وابتغاء فضل الله، قال تعالى: "فابتغوا عند الله الرزق واعبدوه واشكروا له.."(العنكبوت : ١٧) وقد جمعت هذه الأية الكريمة بين جانبى حياة الإنسان الجانب الدنيوى فى تعمير الكون والسعى فى الأرض

---

(١) عن ابراهيم (سنده) : "حدثنى يعقوب عن إبراهيم قال ثنا هشيم قال أخبرنا مغيرة عن ابراهيم" .

- تفسيرالطبرى : حـ٢ ، ص٣٥٨: ٣٥٩ .

(٢) عن ابن عباس (سنده) : "حدثنا سليمان قال أخبرنا إسماعيل قال أخبرنى عبد الله بن سعيد بن أبى هند عن أبيه عن ابن عباس" .

- الإمام أحمد بن حنبل : المسند ، مرجع سابق ، حـ٤، رقم ٢٧٩١ ، ص٢٨٢ .

ابتغاء للرزق، والجانب الدينى المتمثل فى عبادة الله وشكره على نعمه، وماأتاحه لبنى آدم من الرزق .

ومن ذلك ماورد فى التفسير بالمأثور لقوله تعالى : "ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلاً من ربكم" (البقرة : ١٩٨) عن أبى أمامه التميمى قال : قلت لابن عمر : إنا نكرى فهل لنا من حج؟ قال: أليس تطوفون بالبيت وتأتون المُعرّف وترمون الجمار ، وتحلقون رؤوسكم ؟ قال : قلنا : بلى ، فقال ابن عمر : جاء رجل إلى النبى صلى الله عليه وسلم فسأله عن الذى سألتنى فلم يجبه حتى نزل عليه جبريل بهذه الأية "ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلاً من ربكم" ، فدعاه النبى صلى الله عليه وسلم فقال أنتم حجاج"(١) فاشتغالهم بالأجر وقت الحج لم يمنع اعتبارهم حجاجاً طالما أنهم يؤدون مناسك العبادة ،وقد جمعوا بين جانبى الحياة الدينى والدنيوى .

فقد كرم الله الإنسان وأوجد له الرزق وذلل له مصادره ، وسخر له الكون وجعله سبباً للحياة والرزق فليس فى الإسلام ألايسعى الإنسان ويجاهد ، وليس فيه أن يتقاعد عن السعى اعتماداً على مايصيبه من الرزق ، وإلا كان فى هذا تخلف المسلمين عن ركب الحياة وانقلابهم إلى دولة من المستضعفين فالإسلام لايستفيد من انقطاع القادرين علي طلب العلم والعمل والإنتاج والسير فى ركب الحضارة. لذا نهى عن ذلك. ولم يترك جانباً من الدنيا إلا أوصى بالعمل الحلال به، وقل أن تجد سورة دعت أياتها الإنسان إلى العمل من أجل الآخرة ولم تدعه إلى العمل الصالح فى الدنيا.. قال تعالي : "وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولاتنس نصيبك من الدنيا وأحسن كما أحسن الله إليك ولاتبغ الفساد فى الأرض إن الله لايحب المفسدين" (القصص : ٧٧) .

---

(١) عن أبى أمامه التميمى (سنده) : "حدثنا أسباط حدثنا الحسنبن عمرو الفقيمى عن أبى أمامه التميمى .

- الإمام أحمد بن حنبل : المسند ، مرجع سابق ، حـ٩ ، رقم ٦٤٣٤ ، ص٢١١ .

ويوضح التفسير بالمأثور لآيات القرآن الكريم إن الله سبحانه فتح أمام الإنسان طريق العلم، وعلمه أوليات كثير من العلوم النافعة، ليحرضه على الانطلاق في البحث عن الحقائق العلمية ووضع الأسس الثابتة لهذه العلوم .

ومن ذلك تربية الحيوان والانتفاع به وبمنتجاته ، قال تعالي : "ومن الأنعام حمولة وفرشاً كلوا ممارزقكم الله" (الأنعام : ١٤٢) .كذلك علم الله الإنسان الاستفادة من الحيوانات بتدريبها على الصيد وتعليمها أصول ذلك كما علمه الله، ففى التفسير بالمأثور لقوله تعالى : "يسألونك ماذا أحل لهم قل أحل لكم الطيبات ،وماعلمتم من الجوارح مكلبين تعلمونهن مما علمكم الله فكلوا مما أمسكن عليكم" (المائدة : ٤) عن ابن عباس : "الجوارح الكلاب والصقور المعلمة"، يعنى المدربة على الصيد ، وقوله تعالى " تعلمونهن مما علمكم الله" عن السدى تعلمونهن من الطلب كما علمكم الله" ، يعنى تعلمونهن طلب الصيد لكم من التأديب الذى أدبكم الله ، والعلم الذى علمكم "[1] .

وعن تعليم الكلاب الصيد قال ابن عباس : "إذاأرسل الكلب فأكل من صيده فقد أفسده، وإن كان ذكر اسم الله حين أرسله ، فإنه إنما أمسك علي نفسه ، فإنه إذا أكل من صيده قبل أن يأتيه صاحبه فإنه ليس بمعلم، وأنه ينبغى أن يضرب ويعلم حتى يترك ذلك الخلق"[2] .

ومما أتاحه الله للإنسان العلم بالحساب والفلك، ومما جاء فى تفسير قوله تعالى : "هو الذى جعل الشمس ضياء والقمر نوراً وقدره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب" (يونس : ٥) قال أبو جعفر الطبرى : سواه منازل لايجاوزها ولايقصر دونها على حال واحدة أبداً لتعلموا أيها الناس عدد

---

(١) عن ابن عباس (سنده) : "حدثنا محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس . عن السدى (سنده):"حدثنى محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى" .

- تفسير الطبرى : حـ ٦ ، ص٥٧: ٦٢ .

(٢) عن ابن عباس (سنده) : "حدثنى أبو كريب ويعقوب بن إبراهيم قالا ثنا إسماعيل بن إبراهيم قال ثنا أبو المعلى عن سعيد بن جبير عن ابن عباس .

- نفس المرجع .

السنين دخول مايدخل منها وانقضاء مايستقبل منها ،ولتعلموا حساب أوقات السنين وعددأيامها وحساب ساعات أيامها[1] وقال أبو جعفر مثله بدون ذكر أقوال مأثورة فى تفسير قوله "وجعلنا الليل والنهار أيتين فمحونا أية الليل وجعلها أية النهارمبصرة لتبتغوا من فضل ربكم ولتعملوا عدد السنين والحساب وكل شئ فصلناه تفصيلاً" (الإسراء : ٢٢) فقد يسر الله للإنسان تعلم الحساب بجعله القمر منازل وبمخالفته بين علامة الليل وعلامة النهار يقول أبو جعفر الطبرى : "ولتعلموا باختلافهما عدد السنين وانقضاء وابتداء دخولها وحساب ساعات النهار والليل وأوقاتهما وكل شئ بينه الله بياناً شافياً[2] .

وتدوين المحاسابات وكتابة الدين كان من الأمور التى أمرالله بها وعلمها للناس، قال تعالى: "ياأيها الذين آمنوا إذا تداينتم بدين إلى أجل مسمى فاكتبوه وليكتب بينكم كاتب بالعدل ولايأب كاتب أن يكتب كما علمه الله فليكتب .." إلى أن يقول تعالى :"واتقوا الله ويعلمكم الله وهو بكل شئ عليم" (البقرة : ٢٨٢) عن قتادة ولايأبين كاتب استكتب ذلك أن يكتب بينهم كتاب الدين كما علمه الله كتابته فخصه بعلم ذلك، وعن مجاهد ولايأب كاتب أن يكتب كما علمه الله بمثله"[3] .

كما أعطى الله بنى أدم مثالاً فى تعلم أنبيائه الصناعة حتى يقدموا على ذلك ، ومن ذلك ماجاء فى تفسير قوله تعالى : "وأوحينا إليه أن اصنع الفلك بأعيننا ووحينا" (المؤمنون: ٢٧) قال أبو جعفر الطبرى : "قال تعالى ذكره فقلنا له حين استنصرنا على كفرة قومه اصنع الفلك وهى السفينة ، بأعيننا يقول بمرأى منا ومنظر، ووحينا يقول وبتعليمنا إياك صنعتها[4]، فالله سبحانه قد علم نبيه

---

(١) تفسير الطبرى : حـ١١، ص٦٢ .

(٢) تفسير الطبرى : حـ١٥، ص٣٨ .

(٣) عن قتادة (سنده) : "حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة" .
عن مجاهد (سنده) : "حدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد" .
- تفسير الطبرى : حـ٣، ص٧٨

(٤) تفسير الطبرى : حـ١٨، ص١٣ .

نوح صناعة السفن، وكذلك علم نبيه داود صناعة الأسلحة والدروع وهو ماذكر فى التفسير بالمأثور لقوله تعالى: "وعلمناه صنعة لبوس لكم لتحصنكم من بأسكم" (الأنبياء: ٨٠) قال أبو جعفر الطبرى "اللبوس عند العرب السلاح كله درعاً كان أو جوشنا أوسيفاً أو رمحاً، عن قتادة قال : كانت صفائح فأول من سردها وحلقها داود عليه السلام[١] .

بالعلم يحارب الإنسان الجهل، ويمنع تفشى الخرافات ، ويعرف مافيه النفع فى الدنيا ومافيه الضرر ، فيقدم على مافيه الخير والنفع له ، ويتجنب مافيه ضرره وخسارته .

قال الطبرى: حدثنى الحرث قال ثنا عبد العزيز قال: إذا سرك أن تعلم جهل العرب فاقرأ مابعد المائة من سورة الأنعام، قوله تعالى: "قد خسر الذين قتلوا أولادهم سفهاً بغير علم وحرموا مارزقهم الله افتراء على الله قد ضلوا وماكانوا مهتدين"(الأنعام : ١٤٠) .

وفى التفسير بالمأثور للأية قال قتادة : "كان أحدهم يقتل ابنته مخافة السباء والفاقه ،وقوله تعالى : "وحرموا مارزقهم الله" قال هم أهل الجاهلية جعلوا بحيرة وسائبة ووصيلة وحامياً تحكماً من الشياطين فى أموالهم"[٢].

وقد نهى الله عن تحريم هذه النعم التي أحلها للناس فقال تعالى: "ماجعل الله من بحيرة ولاسائبة ولاوصيلة ولاحام ولكن الذين كفروا يفترون على الله الكذب وأكثرهم لايعقلون" (المائدة : ١٠٣) ، وفى تفسيرها بالمأثور عن علقمة قال : هذا شئ كان يفعله أهل الاجاهلية ، وعن الشعبى قال البحيرة المخضرمة، والسائبة ماسيب للهدى، والوصيلة إذا ولدت بعد أربعة أبطن ثم ولدت

---

(١) عن قتادة (سنده) : :حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن قتادة" .

- تفسير الطبرى : حـ١٧، ص٤١ .

(٢) عن قتادة : (سنده) : حدثنى بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة"

- تفسير الطبرى : حـ٨، ص٣٨ .

الخامس أنثى وصلت أخاها، والحام الذى قد ضرب أولاد أولاده فى الإبل" وقد أبطل الإسلام ذلك"[1] .

فهؤلاء الجاهلون حرموا أشياء ابتدعوها من تلقاء أنفسهم لأنهم افتقدوا العلم الذى يعرفون به كيفية الانتفاع بهذه النعم والطيبات ، كما افتقدوا العلم الذى يعلمهم كيف يحفظون أبناءهم وبناتهم ويحسنون تربيتهم بما يعود عليهم جميعاً بالنفع والفائدة .

والله سبحانه وتعالى علم بنى أدم تنظيم حياتهم فى مجتمعات آمنة يراعى فيها سلامة أفرادها، ويحافظ فيها على كيان الأسرة ويعطى كل فرد فيها حقوقه ويعرف بواجباته، ومن أمثلة ذلك ماجاء فى تفسير قوله تعالى :"وللمطلقات متاع بالمعروف حقاً على المتقين ، كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تعقلون " (البقرة : ٢٤١ - ٢٤٢) قال أبو جعفر الطبرى "يقول تعالي ذكره كما بينت لكم مايلزمكم لأزواجكم ويلزم أزواجكم لكم أيها المؤمنون ، وعرفتكم أحكامى والحق الواجب لبعضكم على بعض فى هذه الأيات[2] .

فكان الاهتمام واجباً بعلوم الاجتماع والتربية وغيرها من العلوم الإنسانية، كما تبين ضرورة الاهتمام بالرياضيات والعلوم التى ينتفع بها الإنسان فى جميع مجالات حياته .

وهكذا اتضحت من خلال التفسير بالمأثور لأيات القرآن الكريم طبيعة العلم الذي دعا الإسلام إليه وحث على طلبه ، فرفع من مكانه العلماء وسما بمنزلتهم، وذكرهم كثيراً في كتابه الكريم.

فقد كان العلم شاملاً للعلوم الدينية المتشعبة عن القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة: ومنها علم التفسير والفقه والقراءات والحديث والأحكام والشرائع والعبادات وغير ذلك كثير .

كما شمل العلم أيضاً علوماً تتعلق بالجانب الدنيوى وتستقيم بها حياة الإنسان فى هذا الكون، فهى تعينه علي التقدم فى الحياة وتعمير هذه الأرض تنفيذاً لأمر الله بذلك .

---

(١) عن علقمة (سنده) : حدثنا ابن وكيع قال ثنا محمد بن عبيد عن الأعمش عن مسلم بن صبيح عن علقمة" عن الشعبى (سنده) : "حدثنا ابن حميد قال ثنا جرير بن عبد الحميد عن مغيرة عن الشعبى"
- تفسير الطبرى : حـ٢، ص٤٦ .

(٢) تفسير الطبرى : حـ٢، ص٣٦٥.

راتضح من خلال التفسير بالمأثور لآيات القرآن الكريم إن الله سبحانه فتح أمام الإنسان طريق هذه العلوم ، بل وعلمه أوليات كثير منها، ليحرضه على الانطلاق فى البحث عن الحقائق ووضع الأسس الثابتة لهذه العلوم .

ومن هذه العلوم التي علم الله الإنسان أولياتها من خلال أيات القرآن الكريم مايتعلق بطرق كسب الرزق كتربية الحيوان والانتفاع به، وتدريبه على الصيد بأنواعه ، وكالصناعة ، ومايتعلق بالحساب وتدوينه وبالفلك ، ومايتعلق بالحياة الاجتماعية والإنسانية كتنظيم المجتمعات ،وحقوق الأفراد ، والتربية الشاملة .

## ثانياً : مصادر العلم فى التفسير بالمأثور للقرآن الكريم :

١ - **العلم إلهى المصدر** ، ففى التفسير بالمأثور لقوله تعالى: "إنك أنت العليم الحكيم" (البقرة : ٣٢) قال ابن عباس : "العليم الذى قد كمل فى علمه، والحكيم الذي قد كمل في حكمه، وقد قيل إن معني الحكيم الحاكم ، والعليم بمعني العالم"(١) .

والعليم اسم من أسماء الله الحسنى ، ذكر في القرآن الكريم فى مائة وأربعين أية، كما ذكرت "عليماً" فى ثنتين وعشرين أية، وعلام فى أربع أيات"(٢).

وعلم الله واسع يحيط بالدنيا بكل مخلوقاتها "وسع ربى كل شئ علما" (الأنعام : ٨٠) قال إبراهيم : علم ربى كل شئ فلايخفى عليه شئ لأنه خالق كل شئ(٣). فالعلم قرين الخلق وكلاهما

---

(١) عن ابن عباس (سنده) : "حدثنى المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال حدثنى معاوية عن على عن ابن عباس".
- **تفسير الطبرى** : حـ١، ص١٧٥ .

(٢) محمد فؤاد عبد الباقى : **المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم**، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م، ص٤٧٦.

(٣) عن إبراهيم (سنده) : "حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا حجاج عن ابن جريج عن إبراهيم" .
- **تفسير الطبرى** : جـ٧ ص١٦٦ .

إلهى المصدر" ألا يعلم من خلق"(الملك : ١٤) ، وعلم الله الواسع يحيط بالسموات والأرض بكل مااحتوت من مخلوقات الله، وفى التفسير بالمأثور لقوله تعالى : "وسع كرسيه السموات والأرض" - (البقرة : ٢٥٥) عن ابن عباس قال : كرسيه : علمه ، وأخبر الطبرى أنه "لايؤده حفظهما" أى لايثقل عليه حفظ ماعلم وأحاط به مما فى السموات والأرض كما أخبر عن ملائكته أنهم قالوا فى دعائهم ربنا وسعت كل شئ رحمة وعلماً فأخبر تعالى ذكره أن علمه وسع كل شئ ، كذلك قوله كرسيه وأصل الكرسى العلم، ومنه قيل للصحيفة يكون فيها علم مكتوب كراسة، ومنه يقال للعلماء الكراسى لأنه المعتمد عليهم[١] .

وعلم الله ينفرد بالغيبيات "قل إنما العلم عند الله" (الملك: ٢٦). يقول أبو جعفر الطبرى: "فالله تعالي عنده علم الساعة لذلك يقول لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم فى هذه الأية قل يامحمد لهؤلاء المستعجليك بالعذاب وقيام الساعة إنما علم الساعة ومتى تقوم القيامة عند الله لايعلم ذلك غيره"[٢] وكان ذلك إجابة لسؤال المستعجلين "ويقولون متى هذا الوعد إن كنتم صادقين" (الملك:٢٥).

ومن تفسير القرآن بالقرآن ماورد في التفسير بالمأثور لقوله تعالى: "وعنده مفاتح الغيب لايعلمها إلا هو" (الأنعام : ٥٩) عن ابن عباس "وعنده مفاتح الغيب " قال: هن خمس "أن الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم مافى الأرحام وماتدرى نفس ماذا تكسب غداً وماتدرى نفس بأى أرض تموت" وهى الآية : ٣٤ فى سورة لقمان. وعن السدى "وعنده" مفاتح الغيب" قال: يقول خزائن الغيب"[٣].

---

(١) عن ابن عباس (سنده) : "حدثنا أبو كريب وسلم بن جنازة قالا حدثنا ابن ادريس عن مطرف عن جعفر بن أبى المغيرة عن سعيد بن جبير عن ابن عباس"

- تفسير الطبرى : جـ٣، ص٧ .

(٢) تفسير الطبرى : جـ٢٩، ص٨ .

(٣) عن ابن عباس (سنده) : "حدثنى القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عنعطاء الخرسانى عن ابن عباس". ==

وعلم الله الواسع لايقتصر على عالم الغيب فط ، ولاعالم الشهادة فقط بل يشملهما جميعاً ولايغيب عنه شئ فيهما قال تعالى : "يعلم مايلج في الأرض ومايخرج منها ومايَنزل من السماء ومايعرج فيها وهو الرحيم الغفور ، وقال الذين كفروا لاتأتينا الساعة قل بلى وربى لتأتينكم عالم الغيب لايعزب عنه مثقال ذرة في السموات ولافى الأرض ولاأصغر من ذلك ولاأكبر إلا فى كتاب مبين" (سبأ : ٢، ٣) وفى التفسير بالمأثور لهذه الأية عن مجاهد قال : لايغيب عنه شئ من زنة ذرة فمافوقها فمادونها أين كان فى السموات ولافى الأرض فإن الله تعالى قد أثبته وأحصاه وعلمه(١).

ولأن علم الله قد وسع عالمى الغيب والشهادة فإنه يعلم كل شئ عن الإنسان - ذلك الجزء الصغير من الكون الهائل - فيعلم عنه مايعلنه ويجهر به كما يعلم مايضمره فى نفسه ولايظهره على أحد ، قال تعالى "وأسروا قولكم أو اجهروا به إنه عليم بذات الصدور ، ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير" (الملك ١٣، ١٤). قال أبو جعفر الطبرى :"يقول جل ثناؤه وأخفوا قولكم وكلامكم أيها الناس أو أعلنوه وأظهروه إنه ذو علم بضمائر الصدور التى لم يتكلم بها فكيف بما نطق وتكلم به، وكيف يخفى عليه خلقه الذى خلقه وهو اللطيف بعباده الخبير بهم وبأعمالهم(٢).

والله يعلم مافيه نفع الناس، كما يعلم مافيه ضررهم، فيرشدهم إلي مافيه خيرهم وصلاحهم، قال ابن عباس : كنت ردف النبى صلى الله عليه وسلم فقال ياابن عباس أرض عن الله بما قدر، وإن

---

== عن السدى (سنده) : "حدثنى محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى".

- تفسير الطبرى : جـ٧ ، ص١٣٦ .

(١) عن مجاهد (سنده):"حدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعاً عن ابن أبى نجيح عن مجاهد" .

تفسير الطبرى حـ٢٢، ص٤٢ .

(٢) تفسير الطبرى : جـ٢٩ ، ص٥ .

كان خلاف هواك، فإنه مثبت فى كتاب الله ، قلت: يارسول الله فأين وقد قرأت القرآن، قال فى قوله: "كتب عليكم القتال وهو كره لكم وعسى أن تكرهوا شيئاً وهوخير لكم وعسى أن تحبوا شيئاً وهو شر لكم والله يعلم وأنتم لاتعلمون" (البقرة: ٢١٦) وقال أبو جعفر "يعني جل ثناؤه بذلك أن قتالكم إياهم هوخير لكم فى عاجلكم ومعادكم، وترككم قتالهم شر لكم وأنتم لاتعلمون من ذلك ماأعلم"(١)

ويظهر ذلك فى التفسير بالمأثور لقوله تعالى : "جعل الله الكعبة البيت الحرام قياماً للناس والشهر الحرام والهدى والقلائد ذلك لتعلموا أن الله يعلم مافى السموات ومافى الأرض وأن الله بكل شئ عليم"(المائدة : ٧٩) عن ابن زيد كان الناس كلهم فيهم ملوك تدفع بعضهم عن بعض ، ولم يكن فى العرب ملوك تدفع بعضهم عن بعض، فجعل الله تعالى لهم البيت الحرام قياماً والشهر الحرام كذلك يدفع الله بعضهم عن بعض ويلقى الرجل قاتل أخيه فلايعرض له، وهذا كله قد نسخ"(٢) وقال أبو جعفر : يعنى تعالى ذكره بقوله ذلك تصييره الكعبة البيت الحرام قياماً للناس والشهر الحرام والهدى والقلائد(*) كى تعلموا أن من أحدث لكم لمصالح دنياكم ماأحدث ممابه قوامكم علماً منه بمنافعكم ومضاركم إنه كذلك يعلم جميع مافى السموات ومافى الأرض مما فيه صلاح عاجلكم وآجلكم"(٣).

---

(١) عن ابن عباس (سنده) : "حدثنى محمد بن ابراهيم السلمى قال ثنى يحيى بن محمد بن مجاهد قال اخبرنى عبيد الله بن أبى هاشم الجعفى قال أخبرنى عامر بن وائلة قال ابن عباس .

- **تفسير الطبرى** : جـ٢، ص٢٠١ .

(٢) عن ابن زيد (سنده) :حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد"

**تفسير الطبرى** : جـ٧،ص٥٠ .

(*) فقد كان ناس يتقلدون لحاء الشجر فى الجاهلية إذا أرادوا الحج فيعرفون بذلك .

(٣) نفس المرجع .

وعلم الله الواسع لايعلمه سواه.. ففى تفسير قوله تعالى: "إن الذين يحبون أن تشيع الفاحشة فى الذين آمنوا لهم عذاب أليم فى الدنيا والآخرة والله يعلم وأنتم لاتعلمون" (النور : ١٩) قال أبو جعفر الطبري : "والله يعلم كذب الذين جاؤا بالإفك من صدقهم وأنتم أيها الناس لاتعلمون ذلك لأنكم لاتعلمون الغيب وإنما يعلم ذلك علام الغيوب[١] .

وقد تبين مماسبق أن الله سبحانه وتعالى هوالعليم وأن المصدر الأساسى للعلم هوالمصدر الإلهى، ذلك أن علم الله الواسع أحاط بكل مخلوقات الدنيا فى السماء والأرض وبكل ماشمله عالما الغيب والشهادة، كما يعلم كل شئ عن الإنسان ما يظهره ومايخفيه ويعلم ماينفعه ومايضره، فإن الله يعلم والناس لايعلمون "إنما إلهكم الله الذى لاإله إلا هو وسع كل شئ علماً" (طه : ٩٨) .

**أ - الله سبحانه علم آدم عليه السلام :**

لما كان العلم الواسع كله عند الله فقد سمح الله للإنسان ولغيره من المخلوقات بالقدر الذي شاءه لهم من علمه الواسع ، وفى التفسير بالمأثور لقوله تعالى : "يعلم مابين أيديهم وماخلفهم ولايحيطون بشئ من علمه إلا بماشاء"(البقرة : ٢٢٥) عن مجاهد يعلم مابين أيديهم مامضى من الدنيا وماخلفهم من الآخرة" ، وعن السدى "ولايحيطون بشئ من علمه" قال لايعلمون بشئ من علمه إلا بماشاء هو أن يعلمهم"[٢] ، فكان الله تعالى بما وهبه لمخلوقاته من العلم قد علم خلقه .

ومهما نال الإنسان من علم الله الواسع فلن ينقص ذلك منه مقدار قطرة فقد جاء فى التفسير بالمأثور لقوله تعالي : "قال له موسى هل أتبعك على أن تعلمن مما علمت رشداً" (الكهف : ٦٦)، وتحكى الأية قصة موسى مع الخضر عليهما السلام عن أبى ابن كعب عن النبى صلى الله عليه

---

(١) تفسير الطبرى : جـ١٨، ص٨٠ .

(٢) عن مجاهد (سنده) : "حدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن نجيح عن مجاهد"
عن السدى (سنده) : "حدثنى موسى بن هرون قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدى"
- تفسير الطبرى : جـ٣، ص٧ .

وسلم قال : ... فانطلقا يمشيان على الساحل ، فجاء عصفور فنقر فى الماء ، فقال الخضر لموسى مانقص علمى وعلمك من علم الله إلا مقدار مانقر أونقص هذا العصفور من البحر[1] .

ولما خلق الله آدم لم يتركه ضائعاً فى الكون، وإنما تعهده بالتعليم مع بداية الخليقة، ففى التفسير بالمأثور لقوله تعالى : "وإذ قال ربك للملائكة إنى جاعل فى الأرض خليفة .. إلي قوله وعلم أدم الأسماء كلها" (البقرة : ٣٠، ٣١) قال أبو جعفر : "اختلف أهل التأويل فى الأسماء التى علمها الله آدم .

عن مجاهد قال : علمه اسم كل شئ هذه الخيل وهذه البغال والإبل والجن وجعل يسمى كل شئ باسمه، وقال أخرون علمه أسماء ذريته كلها، وقال آخرون علمه أسماء الملائكة كلها"[2] . وأورد الطبرى كثيراً من أقوال المفسرين تدور فى نطاق هذه الأراء الثلاث قم قال أن أولى الأقوال بالصواب قول من قال أنها أسماء ذريته كلها وأسماء الملائكة دون أسماء سائر أجناس الخلق معللاً ذلك تعليلاً لغوياً يتعلق باستخدام الضمائر فى الأية[*] .

وذكرا بن كثير فى تفسيره الأراء السابقة بينما رأى أن الصحيح قول من قال علمه أسماء الأشياء كلها.[3] وعن ابن عباس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه لم يكن نبى إلا له دعوة تنجزها في الدنيا وإنى اختبأت دعوتى شفاعة لأمتى، ويقول : ويطول يوم القيامة على الناس حتى يقول بعضهم لبعض انطلقوا بنا إلى آدم فيشفع لنا إلى ربه، فيأتون آدم فيقولون أنت

---

(١) تفسير الطبرى :جـ١٥، ص١٨٠ .

(٢) عن مجاهد (سنده) : "حدثنى المثنى قال ثنا حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد" تفسير الطبرى : جـ١ ، ص١٧٠، ١٧١ .

(*) انظر نفس المرجع .

(٣) تفسير ابن كثير : جـ١، ص٧٣ .

أبو الناس خلقك الله بيده وأسجد لك ملائكته وعلمك أسماء كل شئ فاشفع لنا ربك يريحنا من مكاننا هذا فيقول لست هناكم ويذكر ذنبه ويستحى.."[1]، وما رواه الإمام أحمد عن ابن عباس يتفق ورأى ابن كثير وقول من قال أن الله علم أدم أسماء الأشياء كلها .

**ب - الله سبحانه علم رسله وأنبياءه :**

وهب الله الرسل العلم، وعلمهم معانى الكتب والصحف التى أنزلت عليهم ، كما علم الأنبياء فهم هذه الكتب ووهبهم النبوة والحكمة .

فقد علم الله نبيه الأمى القراءة في أول سورة نزلت عليه ، وفى ثانى سورة ذكرت الكتابة والأدوات اللازمة لها، عن عائشة رضى الله عنها أنها قالت : "كان أول ماابتدئ به رسول الله صلى الله عليه وسلم من الوحى والرؤيا الصادقة كانت تجئ كفلق الصبح ، ثم حبب إليه الخلاء فكان بغار حراء .. ، حتى فجأه الحق فأتاه قال يامحمدأنت رسول الله ، قال رسول الله فجثوت لركبتى وأنا قائم ثم رجعت ترتجف بوادرى .. ،فقال يامحمد أنا جبريل وأنت رسول الله ثم قال : اقرأ قلت ماأقرأ، قال فأخذنى فغطنى ثلاث مرات حتى بلغ من الجهد، ثم قال اقرأ باسم ربك الذى خلق.. ثم كان أول مانزل على من القرآن بعد اقرأ نون والقلم ومايسطرون"[2]، وقد ذكر هذا فى التفسير بالمأثور لقوله تعالي : "اقرأ باسم ربك الذى خلق" (العلق : ١).

ولم يقصد بالقراءة التى تعلمها الرسول صلى الله عليه وسلم معناها المعروف والذى يقتصر على قراءة الكلمة المكتوبة، وإنما الذى يتعداها إلي قراءة كل ماتسمعه الأذن، وماتقع عليه

---

(١) عن ابن عباس (سنده) : "حدثنا حسن ثنا حماد بن سلمة عن على بن زيد عن أبى نضرة قال خطبنا ابن عباس على منبر البصرة فقال :

- الإمام أحمد بن حنبل : **المسند** ، مرجع سابق ، جـ٤، رقم ٢٦٩٢، ص٢٤١ .

(٢) عن عائشة رضى الله عنها (سنده) : "حدثنى أحمد بن عثمان البصرى قال ثنا وهب بن جرير قال ثنا أبى قال سمعت النعمان بن راشد يقول عن الزهرى عن عروة عن عائشة .

- **تفسير الطبرى** ، جـ ٣٠، ص١٦١ .

العين، وماتمسه أى حاسة من حواس الإنسان، إنها قراءة للمكتوب والمنظور والمسموع والمحسوس أيضاً ، وتتضح هذا المعنى الواسع للقراءة فى قوله تعالى: " إن علينا جمعه وقرءانه . فإذا قرأناه فاتبع قرءانه " (القيامة : ١٧، ١٨)

وفى التفسير بالمأثور لقوله تعالي : "ن والقلم ومايسطرون" (نون : ١) عن عطاء قال سألت الوليد بن عبادة بن الصامت كيف كانت وصية أبيك حين حضره الموت فقال دعانى فقال أى بنى اتق الله واعلم أنك لن تتقى الله ولن تبلغ العلم حتى تؤمن بالله وحده ، والقدر خيره وشره إنى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : أن أول ماخلق الله خلق القلم فقال له اكتب قال ومأأكتب قال اكتب القدر قال فجرى القلم في تلك الساعة بما كان وماهو كائن إلى الأبد[١] .

وقيل فى تفسير "النون" أنها الدواة . عن ابن عباس قال إن الله خلق النون وهى الدواة وخلق القلم فقال اكتب فقال ماأكتب قال اكتب ماهو كائن إلى يوم القيامة من عمل معمول بر أو فجور أو رزق مقسوم حلال أو حرام، ثم ألزم كل شئ من ذلك شأنه ، دخوله فى الدنيا ومقامه فيها كم، وخروجه منها كيف، ثم جعل على العباد حفظه وللكتاب خزاناً، فالحفظة ينسخون كل يوم من الخزان عمل ذلك اليوم ،فإذا فنى الرزق وانقطع الأثر وانقضى الأجل ، أتت الحفظةُ الخزنةَ يطلبون عمل ذلك اليوم فتقول الخزنة مانجد لصاحبكم عندنا شيئاً فترجع الحفظة فيجدونهم قد ماتوا ثم قال ابن عباس ألستم قوماً عرباً تسمعون الحفظة يقولون إنا كنا نستنسخ ماكنتم تعملون ، وهل يكون الاستنساخ إلا من أصل[٢]، فقد أراد ابن عباس أن مايكتب للإنسان من عمله اليومى هو نسخة من الأصل الذى قدره الله وكتبه له فى بداية الحياة . ويتفق مع هذا حديث مجاهد قال

---

(١) عن عطاء (سنده) : "حدثنى محمد بن صالح الأنماطى قال ثنا عباد بن العوام قال ثنا عبد الواحد بن سليم قال عن عطاء" .

- تفسير الطبرى : جـ٢٩، ص١١ .

(٢) عن ابن عباس (سنده) : "حدثنا ابن حميد قال ثنا يعقوب قال ثنا أخى عيسى ابن عبد الله عن ثابت البنانى عن ابن عباس .

- تفسير الطبرى جـ٢٩، ص١٠ .

سمعت عبد الله -لاندرى ابن عمر أو ابن عباس - قال أن أول ماخلق الله القلم ، فجرى القلم بماهو كائن، وإنما يعمل الناس اليوم فيما قد فرغ منه.[1]

وفى التفسير بالمأثور لقوله تعالي : "ومايسطرون" عن قتادة قال : ومايكتبون يقال منه سطر فلان الكتاب فهو يسطر سطراً إذا كتبه[2] . فكان أول ماتعلمه الرسول صلى الله عليه وسلم على يد جبريل عليه السلام بأمر الله سبحانه وتعالى هو القراءة ، وثانى ماتعلمه أن القلم والكتابة قد سطرا القدر المقدر للخليقة كلها بأمر الله .

كذلك علم الله رسوله القرآن ، ففى تفسير قول تعالي : "وأنزل الله عليك الكتاب والحكمة وعلمك مالم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيما" (النساء : ١١٣) ، قال أبو جعفر الطبرى : "ومن فضل الله عليك يامحمد صلى الله عليه وسلم مع سائر ماتفضل به عليك من نعمة أنه أنزل عليك الكتاب وهو القرآن الذى فيه بيان كان شيىء وهدى وموعظة وحكمة ، والحكمة هى ماكان فى الكتاب مجملاً ذكره من حلاله وحرامه وأمره ونهيه وأحكامه ووعده ووعيده وعلمك مالم تكن تعلم من خبر الأولين والأخرين وماكان وماهو كائن"[3] .

ومما يذكر فى التفسير بالمأثور عن تعليم الله رسوله خبر الأولين ماجاء فى تفسير قوله تعالى: "ولقد آتينا موسى تسع أيات بينات" (الإسراء : ١٠١) ، عن صفوان بن عسال قال : قال يهودى لصاحبه اذهب بنا إلى هذا النبى ، فأتيا رسول الله صلى الله عليه وسلم يسألانه عن تسع أيات بينات ، فقال هن ولاتشركوا بالله شيئاً ، ولاتسرقوا ، ولاتزنوا ، ولاتقتلوا النفس التى حرم الله إلا

---

(١) عن مجاهد (سنده) : "حدثنى المثنى قال ثنا عبد الصمد قال ثنا شعبة قال حدثنا أبو هاشم أنه سمع مجاهداً" .
- نفس المرجع .

(٢) عن تقادة (سنده) : حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن قتادة" .
- تفسير الطبرى : جـ٢٩، ص١٢ .

(٣) تفسير الطبرى : جـ٥ ، ص١٧٧ .

بالحق ، ولاتمشوا ببرىء إلى ذى سلطان ليقتله ، ولاتسحروا ، ولاتأكلوا الربا ، ولاتقذفوا المحصنات، ولاتولوا يوم الزحف ، وعليكم خاصة يهود أن لاتعدوا فى السبت ، قال فقبلوا يديه ورجليه وقالوا نشهد أنك نبى ، قال فما يمنعكم أن تتبعونى قالوا أن داود دعا أن لايزال من ذريته نبى، وإنّا نخاف إن اتبعناك أن تقتلنا يهود.[1] فالله سبحانه وتعالى أعطى نبيه محمداً صلى الله عليه وسلم من العلم الكثير بينما كان لله تعالى الانفراد المطلق بعلم الغيبيات، عن عبد الله بن مسعود قال : أوتى نبيكم صلى الله عليه وسلم مفاتيح كل شيىء غير الخمس : (أن الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم مافى الأرحام وماتدرى نفس ماذا تكسب غدا وماتدرى نفس بأى أرض تموت، ان الله عليم خبير)[2] وهى الآية (لقمان : ٣٤) .

وكما علم الله رسوله محمدا خاتم الأنبياء والرسل فقد علم الرسل السابقين عليه، ففى تفسير قوله تعالى : "وإذ قال الله ياعيسى ابن مريم اذكر نعمتى عليك وعلى والدتك إذ أيدتك بروح القدس تكلم الناس فى المهد وكهلاً وإذ علمتك الكتاب والحكمة والتوراة والإنجيل.. (المائدة : ١١٠)" قال أبو جعفر الطبرى : "إذ علمتك الكتاب وهو الخط، والحكمة وهى الفهم بمعانى الكتاب الذى أنزلته إليك وهو الانجيل"[3] .

---

(١) عن صفوان بن عسال (سنده) : "حدثنا أبو كريب قال ثنا عبد الله بن إدريس وابو أسامه،نحوه عن شعبه بن الحجاج عن عمرو بن مرة عن عبد الله بن سلمة عن صفوان بن عسال .

- تفسير الطبرى : حـ١٥ ، ص١١٥ .

(٢) عن عبد الله بن مسعود (سنده) : "حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة عن عمرو بن مرة عن عبد الله بن سلمه عن عبد الله بن مسعود" .

- الإمام أحمد بن حنبل ، المسند ، مرجع سابق ، حـ٦ ، رقم ٤١٦٧ ، ص ١٠٠ .

(٣) تفسير الطبرى : حـ٧ ، ص٨٣ .

وكان الله قد قدر لعيسى هذا العلم وأخبر به مريم قبل ولادته ، كما جاء فى تفسير قوله تعالى : "قالت رب أنّى يكون لى ولد ولم يمسسنى بشر قال كذلك الله يخلق مايشاء إذا قضى أمراً فإنما يقول له كن فيكون ، ويعلمه الكتاب والحكمة والتوراة والإنجيل" (آل عمران : ٤٧ ، ٤٨) ، قال أبو جعفر الطبرى : "الكتاب هو الخط الذى يخطه بيده ، والحكمة هى السنة التى نوحيها إليه فى غير كتاب ، والتوراة التى أنزلت على موسى والإنجيل لم يكن قبله ولكن الله أخبر مريم قبل خلق عيسى أنه موحيه إليه"(١) .

وقبل عيسى علم الله نبيه موسى التوراة قال تعالى : "وإذ أتينا موسى الكتاب والفرقان لعلكم تهتدون" (البقرة : ٥٣) ، عن أبى العالية قال الكتاب هو الفرقان فرق به بين الحق والباطل.(٢)

وآتى الله ابراهيم عليه السلام العلم منذ الصغر ، ففى التفسير بالمأثور لقوله تعالى : "ولقد أتينا إبراهيم رشده من قبل وكنا به عالمين" (الأنبياء : ٥١) عن مجاهد قال هديناه صغيرا.(٣)

وفى سورة الأنبياء يذكر الله الأنبياء الذين هداهم وأتاهم العلم والحكمة ، فقد قال تعالى : "ولوطاً آتيناه حكماً وعلما" (الأنبياء : ٧٤) قال أبو جعفر : "يقول تعالى ذكره وآتينا لوطاً حكماً وهو فصل القضاء بين الخصوم ، وآتيناه ، علما بأمر دينه ومايجب عليه لله من فرائضه.(٤)

---

(١) تفسير الطبرى : حـ ٣ ، ص ١٨٩ .

(٢) عن أبى العاليه (سنده) : "حدثنى المثنى بن ابراهيم قال حدثنا أدم قال حدثنا أبو جعفر عن الربيع بن أنس عن أبى العالية" .

- تفسير الطبرى : جـ١ ، ص٢٢٥ .

(٣) عن مجاهد (سنده) : "حدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعاً عن ابن أبى نجيح عن مجاهد" .

- تفسير الطبرى : جـ ١٧ ، ص٢٧ .

(٤) تفسير الطبرى : حـ ١٧ ، ص٣٧ .

وعلم الله أنبياءه ، أحكامه وكيفية الفصل بين المتنازعين ، ومن ذلك أن داود عليه السلام كان قد حكم بأن الغنم التى أفسدت الحرث تكون كلها لصاحب الحرث جزاء ماأفسدته، ولكن نبى الله سليمان لم يرض بهذا، وأفهمه الله كيف يكون الفصل بين المتنازعين ، فحكم سليمان بأن يتبادل الطرفان، فيأخذ صاحب الحرث الغنم لينتفع ببيع أولادها وأصوافها ، حتى يوفى ثمن مافسد من زرعه، وأصحاب الغنم يأخذون الأرض فيبذرونها ويحرثونها حتى تعود كما كانت ، وفى العام المقبل يرد كل شيىء إلى أصحابه ، قال تعالى : "وداود وسليمان إذ يحكمان فى الحرث إذ نفشت فيه غنم القوم وكنا لحكمهم شاهدين ، ففهمناها سليمان وكلا أتينا حكما وعلما" (الأنبياء: ٧٨ ، ٧٩) قال أبو جعفر : "وكلهم من داود وسليمان والرسل الذين ذكرهم الله فى أول هذه السورة أتينا حكماً وهو النبوة وعلما بأحكام الله.[١]

وكذلك علم الله نبيه يوسف عليه السلام كما جاء فى قوله تعالى : "وكذلك مكنا ليوسف فى الأرض ولنعلمه من تأويل الأحاديث والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لايعلمون ، ولما بلغ أشده أتيناه حكماً وعلماً كذلك نجزى المحسنين" (يوسف : ٢١ ، ٢٢) ، وقال أبو جعفر الطبرى: "حدثنى ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق : يقول هذا الذى أذكر أنى أعلمه من تعبير الرؤيا مما علمنى ربى فعلمته"[٢] وكان هذا فى تفسير قوله تعالى : "قال لايأتيكما طعام ترزقانه إلا نبأتكما بتأويله قبل أن يأتيكما ذلكما مما علمنى ربى" (يوسف : ٣٧) وفى قوله "آتيناه حكما وعلما" (يوسف : ٢٢) عن مجاهد قال : العقل والعلم قبل النبوة"[٣] .

---

(١) تفسير الطبرى : حـ١٧ ، ص٣٨ .

(٢) تفسير الطبرى : حـ١٢ ، ص١٢٩ .

(٣) عن مجاهد (سنده) : "حدثنى المثنى قال أبو حزيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد" .

- تفسير الطبرى : حـ١٢ ، ص١٠٦ .

وذكر على لسان نوح ماجاء فى قوله تعالى: "أبلغكم رسالات ربى وأنصح لكم وأعلم من الله مالاتعلمون" (الأعراف : ٦٢) قال أبو جعفر الطبرى : "يقول أعلم من الله أن عقابه لايرد عن القوم المجرمين"(١) .

ومن ذلك ماجاء فى التفسير بالمأثور لقوله تعالى : "وربك أعلم بمن فى السموات والأرض ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض وآتينا داود زبورا (الإسراء : ٥٥) . قال أبو جعفر الطبرى : "فضل الله بعض النبيين على بعض بإرسال بعضهم إلى بعض الخلق وبعضهم إلى الجميع ورفع بعضهم على بعض درجات عن قتادة قال : "اتخذ الله ابراهيم خليلاً وكلم موسى تكليما وجعل الله عيسى كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون وهو عبد الله ورسوله من كلمه الله وروحه، وأتى سليمان ملكاً لاينبغى لاحد من بعده، وآتى داود زبورا ، وغفر لمحمد ماتقدم من ذنبه وماتأخر"(٢) وفى تفسير نفس الأية عن ابن جريج قال كلم الله موسى وأرسل محمداً إلى الناس كافة"(٣) .

### حـ - اللـــه سبحانه يعلم بنى آدم :

كما علم الله آدم عليه السلام فقد علم بنيه ، ومما يذكر فى التفسير بالمأثور لقوله تعالى : "خلق الإنسان ، علمه البيان" (الرحمن : ٣ ، ٤) عن قتاده قال : الانسان أدم عليه السلام ، وقال آخرون بل عنى بذلك الناس جميعاً ، وانما وحد فى اللفظ لأدائه عن جنسه ، كما قيل إن الإنسان لفى خسر ، والقولان كلاهما غير بعيدين من الصواب"(٤) .

---

(١) **تفسير الطبرى** : حـ ٨ ، ص١٥١ .

(٢) عن قتادة (سنده) "حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتاده" .
- **تفسير الطبرى** : حـ ١٥ ، ص٧١ .

(٣) عن ابن جريج (سنده) : "حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا حجاج عن ابن جريج" .
- نفس المرجع .

(٤) عن قتاده (سنده) : "حدثنا ابن حميد قال ثنا مهران قال ثنا سعيد عن قتادة" .
- **تفسير الطبرى** : جـ ٢٧ ، ص٦٧ .

أما البيان الذى علمه الله الإنسان ففى تفسيره قولان: الأول أنه بيان الحلال والحرام، فعن قتادة علمه الله بيان الدنيا والآخرة بين حلاله وحرامه ليحتج بذلك على خلقه، وعن قتادة بإسناد أخر قال تبين له الخير والشر ومايأتى ومايدع" ، والقول الثانى فى تفسير البيان أنه الكلام قال أبو جعفر: "والصواب فى ذلك أن يقال معنى ذلك أن الله علم الإنسان مابه الحاجه إليه من أمر دينه ودنياه من الحلال والحرام والمعاش والمنطق وغير ذلك[1].

وكما علم الله الأنبياء فإنه علم آلهم وأقوامهم كذلك ، عن عبد الله بن عمر ، قال : أخبرنى عمر بن الخطاب انهم بيناهم جلوس أو قعود عند النبى صلى الله عليه وسلم جاءه رجل يمشى، حسن الوجه، حسن الشعر، عليه ثياب بيض، فنظر القوم بعضهم إلى بعض: مانعرف هذا، وماهذا بصاحب سفر، ثم قال: يارسول الله، آتيك؟ قال : نعم ، فجاء فوضع ركبتيه عند ركبتيه ويديه على فخذيه، فقال : ماالإسلام؟ قال : شهادة أن لاإله إلا الله وأن محمداً رسول الله وتقيم الصلاة وتؤتى الزكاة وتصوم رمضان وتحج البيت، قال : فما الإيمان؟ قال : أن تؤمن بالله وملائكته والجنة والنار والبعث بعد الموت والقدر كله، قال : فما الإحسان ؟ قال أن تعمل لله كأنك تراه ، فإن لم تكن تراه فإنه يراك ، قال فمتى الساعة ؟ قال ماالمسئول عنها بأعلم من السائل ، قال : فما أشراطها ، قال: إذا العراة الحفاة العالة رعاء الشتاء تطاولوا فى البنيان، وولدت الإماء رباتهن، قال: ثم ، قال : ثم، قال علىٌ الرجل ، فطلبوه فلم يروا شيئاً فمكث يومين أو ثلاثة ثم قال : ياابن الخطاب أتدرى من السائل عن كذا وكذا ؟ قال : الله ورسوله أعلم ، قال : ذاك جبريل جاء يعلمكم معالم دينكم.[2]

---

(١) عن قتادة (سنده) : "حدثنى بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة" .

عن قتادة (سنده) : "حدثنى ابن بشار قال ثنا محمد بن مروان قال ثنا أبو العوام عن قتادة" .

- **تفسير الطبرى** : حـ ٢٧ ، ص ٦٧ .

(٢) عن عبد الله بن عمر (سنده) : "قال الامام أحمد : قرأت على يحيى بن سعيد عن عثمان بن غياث حدثنى عبد الله بن بريدة عن يحيى بن يعمر وحميد بن عبد الرحمن الحميرى قالا لقينا عبد الله بن عمر، فقال .

- الامام أحمد بن حنبل : **المسند** ، مرجع سابق ، حـ ١ ، رقم ١٨٤ ، ص٢٣٤ .

ومما يذكر فى تعليم الله آل الأنبياء والرسل ، ماجاء فى تفسير قوله تعالى : "فقد أتينا أل إبراهيم الكتاب والحكمة وأتيناهم ملكا عظيماً" (النساء : ٥٤) قال أبو جعفر : "يقول تعالى ذكره فقد أعطينا أل إبراهيم يعنى أهله وأتباعه على دينه كتاب الله الذى أوحاه إليهم وذلك كصحف إبراهيم وموسى والزبور وسائر ماأتاهم من الكتب وأما الحكمة فما أوحى إليهم مما لم يكن كتاباً مقروءا [١].

وفى التفسير بالمأثور لقوله تعالى : "قال إن الله اصطفاه عليكم وزاده بسطة فى العلم والجسم" (البقرة : ٢٤٧) قال أبو جعفر : "حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد أن الله بسط له فى العلم والجسم ، وأتاه من العلم فضلاً على ماأتى غيره من الذين خوطبوا بهذا" [٢] أى كان القدر الذى أعطاه الله طالوت من العلم يزيد عن القدر الذى أعطاه بنى اسرائيل ، مما يدل على أن الله قد أعطاهم من العلم أيضاً .

من البشر من يعلمهم الله مايشاء من العلم بطريق الفيض والإلهام ، كما جاء فى التفسير بالمأثور لقوله تعالى : "ولقد آتينا لقمان الحكمة" (لقمان : ١٢) عن مجاهد أنه قال كان لقمان رجلا صالحاً ولم يكن نبياً ، عن قتادة قوله وأتينا لقمان الحكمة قال الحكمه أى الفقه فى الإسلام ولم يكن لقمان نبياً ولم يوح إليه" [٣] فالله وهب لقمان علماً وهو لم يك نبياً بل كان من سائر البشر .

روى الإمام أحمد فى مسنده : "حدثنا سفيان عن مطرف الشعبى عن أبى جحيفه قال : سألنا علياً : هل عندكم من رسول الله صلى الله عليه وسلم شيىء بعد القرآن ؟ قال لا والذى فلق الحبة وبرأ النسمة إلا فهما يؤتيه الله عز وجل رجلا فى القرآن، أو مافى الصحيفة قلت ومافى الصحيفة؟

---

(١) تفسير الطبرى : جـ٥ ، ص٨٩ .

(٢) تفسير الطبرى : جـ٢ ، ص٣٨٠ .

(٣) عن مجاهد (سنده) : "حدثنا ابن المثنى قال ثنا محمد بن جعفر قال حدثنا شعبة عبد الحكم عن مجاهد" .
عن قتاده (سنده) : "حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة" .
- تفسير الطبرى : جـ ٢١ ، ص٤٣ .

قال : العقل وفكاك الأسير ولايقتل مسلم بكافر."[1] فالله يهب من يشاء فهماً فى القرآن وعلماً به .

ومن ذلك أيضاً ماجاء فى التفسير بالمأثور لقوله تعالى : "وأوحينا إلى أم موسى أن أرضعيه فاذا خفت عليه فألقيه فى اليم" (القصص : ٧) عن قتادة قال وأوحينا إلى أم موسى وحيا جاءها من الله فقذف فى قلبها وليس بوحى نبوة"[2] .

وفى التفسير بالمأثور لقوله تعالى : "يؤتى الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتى خيراً كثيراً" (البقرة : ٢٦٩) ، قال الطبرى : "يعنى بذلك جل ثناؤه يؤتى الله الإصابة فى القول والفعل من يشاء من عباده ، والإصابه فى الأمور إنما تكون عن فهم بها وعلم ومعرفة عن مجاهد قوله يؤتى الحكمة من يشاء قال ليست بالنبوة ولكنه القرآن والعلم والفقه[3] .

فالله سبحانه وتعالى يعلم بنى أدم فيؤتى العلم من يشاء من عباده ، ويؤتى من يشاء فهما فى القرآن، ويؤتى من يشاء الفقه فى الدين ، ويقذف فى قلب من يشاء بفيضه وإلهامه .

## ٢ - الرسل والأنبياء والعلم :

### أ - الرسل والأنبياء يطلبون العلم :

كان الرسل والأنبياء يحرصون على العلم ويسألون الله أن يهديهم طريقه ، فقد ذكر فى التفسير بالمأثور للقرآن الكريم أن موسى عليه السلام سأل الله عز وجل أن يدله على عالم يزداد من علمه إلى علم نفسه : عن ابن عباس قال سأل موسى ربه وقال رب أى عبادك أحب إليك ؟ قال الذى

---

(١) الامام أحمد بن حنبل : **المسند** "مرجع سابق ، حـ ٢ ، رقم ٥٩٩ ، ص٣٥ .

(٢) عن قتادة (سنده) "حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة"
- **تفسير الطبرى** : حـ ٢٠ ، ص٢١ .

(٣) عن مجاهد (سنده) : "حدثنا ابن حميد قال ثنا جرير عن ليث عن مجاهد" .
- **تفسير الطبرى** : جـ ٣ ، ص٦٠ .

يذكرنى ولاينسانى ، قال فأى عبادك أقضى ؟ قال الذى يقضى بالحق ولايتبع الهوى، قال أى رب أى عبادك أعلم قال الذى يبتغى علم الناس إلى علم نفسه عسى أن يصيب كلمة تهديه إلى هدى أو ترده عن ردى ، قال رب فهل فى الأرض أحد ، قال نعم ، قال رب فمن هو ؟ قال هو الخضر، قال وأين أطلبه ؟ قال على الساحل عند الصخرة التى ينفلت عندها الحوت فخرج موسى يطلبه حتى كان ماذكر الله"[1] وكان ذلك فى تفسير قوله تعالى "فوجدا عبداً من عبادنا آتيناه رحمة من عندنا وعلمناه من لدنا علما" (الكهف : ٦٥).

فكان الله عز وجل يعلم الرسل والأنبياء من العلم مايشاء ويقدره لكل منهم ، وكان علم كل نبى يختلف كما وكيفاً عن علم غيره من الأنبياء ، ويتضح ذلك فيما جاء فى التفسير بالمأثور لقوله تعالى : "قال له موسى هل أتبعك على أن تعلمن مما علمت رشداً" (الكهف : ٦٦) ، وكان ذلك من خلال الحوار الذى دار بين موسى والخضر عليهما السلام قال الطبرى : "حدثنا أبى بن كعب عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : أن موسى قام فى بنى اسرائيل خطيباً فقيل أى الناس أعلم ؟ فقال أنا ، فعتب الله عليه حين لم يرد العلم إليه ، فقال بلى عبدٌ لى عن مجمع البحرين فقال يارب كيف به .." - فأرشده الله إلى مكانه كما ذكر فى تفسير الأية السابقة إلى أن يقول : "فأتيا الصخرة ، فإذا رجل نائم مسجى بثوبه ، فسلم عليه موسى وقال أنا موسى بنى إسرائيل قال ياموسى إنى على علم من علم الله علمنيه الله لاتعلمه ، وأنت على علم من علمه علمكه لاأعلمه، قال فانى أتبعك على أن تعلمنى مما علمت رشداً ، فإن اتبعتنى فلا تسألنى عن شيىء حتى أحدث لك منه ذكراً[2] .

---

(١) عن ابن عباس (سنده) : "حدثنى ابن حميد قال ثنا يعقوب بن هرون عن عنتره عن أبيه عن ابن عباس" .

- تفسير الطبرى : حـ١٥ ، ص١٨٠ .

(٢) نفس المرجع .

وفى التفسير بالمأثور لقوله تعالى : "وقل رب زدنى علماً" (طه : ١١٤) ، قال ابن عيينه "أى زدنى منك علماً ، ولم يزل صلى الله عليه وسلم فى زيادة حتى توفاه الله عز وجل. وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول "اللهم انفعنى بما علمتنى وعلمنى ماينفعنى وزدنى علماً والحمد لله على كل حال"(١) .

فكان سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم يطلب العلم والاستزادة منه والنفع به ، كما طلب سيدنا موسى من قبله وكما طلب باقى الأنبياء ، مما يؤكد حرصهم على تحصيل ولو قطرات من علم الله الواسع .

**ب - الرسل والأنبياء يعلمون بنى آدم :**

لم يرض الله للإنسان أن يحيا متخبطاً فى ظلمات جهله وجهالته ، فأرسل له الرسل والأنبياء يبشرونه وينذرونه ، ويحملون له العلم والهداية لينتشلوه من الجهل والضلال ، فكان الرسل يتبادلون العلم الذى علمهم الله إياه كما تحكى قصة موسى مع الخضر ، كما كانوا يعلمون باقى البشر الذين يرسلهم الله لهدايتهم إلى مافيه خيرهم وصلاحهم .

وكان بعث الله محمداً صلى الله عليه وسلم استجابة لدعوة انبيائه ، ليعلم الناس ويطهرهم، ففى التفسير بالمأثور لقوله تعالى : "ربنا وأبعث فيهم رسولاً منهم يتلو عليهم أياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم إنك أنت العزيز الحكيم" (البقرة : ١٢٩) ، قال أبو جعفر الطبرى : "هذه دعوة إبراهيم واسماعيل لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم خاصة ، عن خالد بن معدان الكلاعى أن نفـرا من أصحاب رسول اللـه صلى الله عليه وسلم قالوا يارسول اللـه اخبرنا عن نفسك قال نعم أنا

---

(١) عن أبى هريرة (سنده) : "حدثنى أبو بكر بن شيبه حدثنا عبد الله بن نمير عن موسى بن عبيدة عن محمد بن ثابت عن أبى هريرة .

- **تفسير الطبرى** : حـ ١٥ ، ص ١٨٠ .

دعوة أبـى ابراهيم وبشرى عيسى صلى الله عليه وسلم[1] .

واستجاب الله لما طلب أنبياؤه ، وأرسل فى الناس كافة رسولاً يعلمهم ويزكيهم ، كما جاء فى التفسير بالمأثور لقوله تعالى : "كما أرسلنا فيكم رسولاً منكم يتلو عليكم أياتنا ويزكيكم ويعلمكم الكتاب والحكمة ويعلمكم مالم تكونوا تعلمون" (البقرة : ١٥١) عن الربيع قال : يعنى محمداً صلى الله عليه وسلم يتلو عليكم أيات القرآن ويزكيكم ويطهركم من دنس الذنوب ويعلمكم الكتاب وهو الفرقان يعنى أنه يعلمكم أحكامه ، ويعنى بالحكمة السنن والفقه فى الدين ويعلمكم مالم تكونوا تعلمون فانه يعنى ويعلمكم من أخبار الأنبياء وقصص الأمم الخالية والخبر عما هو حادث وكائن من الأمور التى لم تكن العرب تعلمها فعلموها من رسول الله صلى الله عليه وسلم[2].

أعطى الله بنى أدم القدوة الصالحة فى حرص رسله على طلب العلم ، وفى قيامهم بتعليم أهليهم من بنى أدم ، فكان لازماً على كل إنسان أن يسعى لطلب العلم دون أن يشغله عن ذلك شاغل وألا يكترث بالصعوبات التى قد تعوق ذلك بل يصر على اجتيازها .

كما كان واجباً على كل إنسان أن يتأسى بالرسل فى قيامهم بتعليم بنى أدم مما تعلموه عن الله سبحانه وتعالى فيحرص على نشر العلم الذى تعلمه وتعليم غيره من البشر عملاً بما جاء فى قوله تعالى : "ولكن كونوا ربانيين بما كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرسون" (أل عمران : ٧٩) قال أبو جعفر : "اختلفت القراء فى قراءة ذلك فقرأه عامة أهل الحجاز وبعض البصريين بما كنتم تَعلَمون بفتح التاء وتخفيف اللام يعنى بعلمكم الكتاب ودراستكم إياه ، بينما قرأ ذلك قراء الكوفيين بضم

---

(١) عن خالد بن معدان الكلاعى (سنده) : "حدثنى ابن حميد قال ثنا سلمة عن محمد بن اسحق عن ثور بن يزيد عن خالد بن معدان الكلاعى" .

- تفسير الطبرى : جـ١ ، ص٤٣٦ .

(٢) عن الربيع (سنده) : "حدثنى المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا ابن أبى جعفر عن أبيه عن الربيع" .

- تفسير الطبرى : جـ٢ ، ص٢٣ .

التاء من تُعَلّمون وتشديد اللام بمعنى بتعليمكم الناس الكتاب ودراستكم إياه ، واعتلوا لاختيارهم ذلك بأن من وصفهم بالتعليم فقد وصفهم بالعلم ، إذ لايعلّمون إلا بعد علمهم بما يعلّمون ، فلا موصوف بأنه يعلّم إلا وهو موصوف بأنه عالم ، فأولى القرائتين بالصواب أبلغهما فى مدح القوم وذلك وصفهم بأنهم كانوا يعلّمون الناس الكتاب. (١)

إن وصف الإنسان بأنه معلّم أشمل وأفضل من وصفه بأنه عالم ، فالعالم قد يحصر علمه فى نفسه بينما المعلّم يفيض من علمه على المتعلمين ويعلّمهم ماكان يتعلّمه ويدرسه .

لقد تبين مما سبق أن مصدر العلم إلهى ، فالله سبحانه هو العليم الخبير ، وعلمه الواسع أحاط بكل مخلوقات الدنيا فى السماء والأرض ، وبكل ماشمله عالما الغيب والشهادة ، وهو يعلم مايسره الإنسان ومايجهر به، ويعلم عن بنى أدم ماينفعهم ومايضرهم ، فيرشدهم إلى مافيه خيرهم، ويحذرهم مما فيه ضلالهم .

ولما كان الله هو العليم الواسع العلم ، فقد امتن على عباده بقدر من علمه الواسع ، سمح لهم به مع بداية الخليقة ، ونذ علم أدم عليه السلام أسماء كل شيىء من ذريته ومن سائر المخلوقات ، ومنذ علم رسله أنبياءه ماشاءه لهم من العلم .

فقد علم الله نبيه محمداً صلى الله عليه وسلم مع بداية الدعوة إلى الإسلام ، فكان أول ماتعلمه وهو النبى الأمى أن فتح الله بصيرته ، فعلمه القراءة بمعناها الواسع الذى لايقتصر على قراءة الكلمة المكتوبة ، وإنما ينسحب على المنظور والمسموع والمحسوس أيضاً ، علمه القرآن والحكمة والفقه فى الدين ، كما علمه خبر الأولين وقصص الأنبياء السابقين .

---

(١) تفسير الطبرى : جـ٣ ، ص٢٣٤ .

وتذكر آيات القرآن الكريم إن الله تعالى قدر العلم لعيسى عليه السلام ، وأخبر به أمه مريم قبل ولادته ، وعلم الله نبيه موسى التوراة والتفريق بين الحق والباطل ، وأتى إبراهيم العلم منذ الصغر .

وعلم الله انبياءه سليمان وداود أحكامه ، وكيفية الفصل بين المتنازعين ، كما علم يوسف تعبير الرؤيا ووهبه من العقل والعلم قبل النبوة ، كما آتى الله تعالى داود زبوراً ولوطاً علماً وحكمة، ووهب لنوح ماشاء من العلم .

وعلم الله آل أنبيائه وأقوامهم ، فكان يرسل جبريل عليه السلام فى هيئة آدمية لتعليم الرسول صلى الله عليه وسلم وصحابته رضى الله عنهم ، وجاء فى أيات القرآن الكريم خبر تعليم الله لآل إبراهيم وطالوت وغيرهم من الأنبياء .

ومن بنى أدم من علمهم الله ويعلمهم بطريق الفيض والإلهام ، فمنهم من يؤته فهماً فى القرآن ، وكما أتى لقمان الحكمة والفقه ولم يكن نبياً ، وكما أوحى إلى أم موسى بإلهام وليس بوحى نبوة ، فالله يؤتى الحكمة من يشاء من عباده ، والحكمة كما سبق فى التفسير بالمأثور للأيات القرآنية هى الإصابة فى القول والفعل ، والإصابة فى الأمور إنما تكون عن علم ومعرفة بها.

أما الذين لم يؤتهم الله العلم مباشرة عنه أو عن رسله ، ولاتلقوه عن طريق الفيض والالهام، فقد أودع الله لهم القدر الذى شاءه لهم فى مصادره ، ودعاهم إلى بلوغ تلك المصادر، والاهتداء إلى ذلك القدر من العلم ، مزوداً إياهم بالوسائل التى تعينهم على ذلك ، من عقل وحواس لكل منها دوره ووظائفه .

وكما آمن الإسلام بدور العقل والحواس لدى الانسان فى بلوغ الإيمان بالله ، فقد دعاه إلى الالتفات بهم إلى الكون للدراسة والاستيعاب ؛ تحقيقاً للنفع والفائدة العامة ، ودونما الانخراط والذوبان فيه لأن الطبيعة متغيرة ، وحق عليه أن يبحث عن الحقيقة الثابتة .

## ٣ - بنو أدم وطلب العلم : -

أصبح مفروضاً على الإنسان بحكم طبيعته التى فطره الله عليها أن يكون مندفعاً إلى البحث عن كل غامض مستور فى الكون المحيط به ، وفى حدود ماتسمح به إمكاناته التى أنعم الله بها عليه ، فلا يقف من المجهول مكتوف الأيدى ، ولايقنع من الحياة بمظاهر أشكالها وألوانها، وإنما يتناولها بالفكر وإعمال البصر والبصيرة ، ويعللها على قدر ماتسمح به قدراته، حتى يكون هذا من أهم الدوافع إلى كشف المجاهيل ، ومن أهم الموجهات إلى البحث عن الحقيقة والإيمان بالله.

وقد أعطى الله بنى أدم القدوة الصالحة فى حرص رسله على طلب العلم ، وفى قيامهم بتعليم أهليهم ، فكان لازماً على كل إنسان أن يسعى لطلب العلم وقد حثه الإسلام على ذلك ، وفتح أمام الفكر الانسانى أبواب المعرفة، ودعاه إلى التعامل مع الواقع وعدم الانغلاق دونه، واعطاه الموجهات التى تضمن له حسن وسلامة هذا التعامل .

فحق المسلم أن يبحث عن الحقيقة دونما الانقياد للظنون على غير علم ، وفى التفسير بالمأثور لقوله تعالى : "ومالهم به من علم إن يتبعون إلا الظن وإن الظن لايغنى من الحق شيئاً" (النجم : ٢٨) عن مجاهد : قال "ومالهم به من علم" يقول تعالى ومالهم من تسميتهم الملائكة تسمية الأنثى من حقيقة علم ، "إن يتبعون إلا الظن" يعنى أنهم يقولون ذلك ظناً بغير علم ، وان الظن لاينفع من الحق شيئاً فيقوم مقامه"[١] ويدل ذلك على سوء الاعتماد على الظن كوسيلة للعلم .

ويوضح التفسير بالمأثور للقرآن الكريم مايوجه من النقد الصارم ، للفكر الذى يسوغ لنفسه المناقشة فيما لاعلم له به ، دون أن يتحرى أولاً جمع معطيات موضوع المناقشة ، ففى قوله تعالى: "هاأنتم هؤلاء حاججتم فيما لكم به علم فلم تحاجون فيما ليس لكم به علم والله يعلم وأنتم لاتعلمون" (آل عمران : ٦٦) عن قتادة : "يقول هاأنتم ياأهل الكتاب حاججتم فيما شهدتم ورأيتم

---

(١) عن مجاهد (سنده) : "حدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعاً عن ابن ابى نجيح عن مجاهد" .

- تفسير الطبرى : حـ٢٧ ، ص٣٧ .

وعاينتم ، فلم تحاجون فيما لم تشاهدوا ولم تروا ولم تعاينوا ، والله يعلم ماغاب عنكم فلم تشاهدوه ولم تروه ولم تأتكم به رسله ، من أمر إبراهيم وغيره من الأمور التى تجادلون فيها بغير علم ، لأنه لايغيب عنه شيىء فى السموات والأرض[1] .

فالأيتان وتفسيرهما بالمأثور يوضحان للفكر الإنسان ماهية مصادر العلم ويزودانه لاكتسابه بأحسن التوجهات المنهجية: فلا اعتماد على مجرد الظن، ولامناقشة لموضوع دون تحرى جميع معطياته.

وللإنسان وهو فى سبيله للبحث عن الحقيقه ، أو لجمع المعطيات العلمية لموضوع ما ، له أن يرجع إلى ماتركه السابقون ، ويستفيد من خبراتهم ومعارفهم السابقة، وفى التفسير المأثور لقوله تعالى : "فاسئلوا أهل الذكر إن كنتم لاتعلمون" (النحل : ٤٣) عن مجاهد قال : فاسئلوا أهل الكتاب، وقال الطبرى : "وهم الذين قرؤا الكتب من قبلهم التوراة والانجيل"[2] وذلك لأن العلم تراكمى ، فإنه يحق لطالب العلم أيضاً أن يستفيد من الخبرات التى تتراكم لدى الأخرين من معاصريه والمعارف التى سبق لهم اكتسابها ، وقد أعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم مثلاً فى ذلك باستفادته من مشاورة أصحابه فى أمور الدنيا عامة وفى أمور الحرب بخاصة ، وفى التفسير بالمأثور لقوله تعالى "وشاورهم فى الأمر" (آل عمران : ١٥٩) عن الحسن البصرى قال : "ماشاور قوم قط إلا هدوا لأرشد أمورهم" ، وعن الضحاك بن مزاحم قال : - "ماأمر الله عز وجل نبيه صلى الله عليه وسلم بالمشورة إلا لما علم فيها من الفضل" ، فهذان القولان فى التفسير بالمأثور للأية يوضحان أهمية المشورة وضرورتها لبلوغ الصواب ومعرفه الحقيقة بالاستفادة من علم وخبره الأخرين .

وكان من الأقوال المأثورة فى تفسير الأية ماتجه إلى أثر المشورة على المستشارين أنفسهم، عن قتادة : "أمر الله عز وجل نبيه صلى الله عليه وسلم أن يشاور أصحابه وهو يأتيه وحى السماء

---

(١) عن قتادة (سنده) : "حدثنى بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتاده" .
- تفسير الطبرى : حـ٣ ، ص٢١٧ .

(٢) عن مجاهد (سنده) : حدثنى القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد .
- تفسير الطبرى : حـ ١٤ ، ص٧٥ .

لأنه أطيب لأنفس القوم وأن القوم إذا شاور بعضهم بعضا وأرادوا بذلك وجه الله عزم لهم على أرشده"[1] .

وكان من التفسير بالمأثور لقوله تعالى "وشاورهم فى الأمر" (آل عمران : ١٥٩) مارأى أن الله عز وجل أمر رسوله صلى الله عليه وسلم بمشاورة أصحابه ليتبعه المؤمنون من بعده ويستنوا بسنته ويحتذوا المثال الذى رأوه يفعله فى حياته مع المنزلة التى هو بها من الله ، فقد كان الله يعرفه بوحيه والهامه إياه صواب الأمور، أما أمته فإنهم إذا تشاوروا على تأخ للحق وإرادة للصواب فالله مسددهم ، عن سفيان بن عيينه فى تفسير الأية قال : هى للمؤمنين أن يتشاوروا فيما لم يأتهم عن النبى صلى الله عليه وسلم فيه أثر"[2]، ويوضح هذا أن للكتب والمراجع التى حوت المأثور أهميتها كمصادر للعلم ومثلها للدراسات والبحوث المعاصرة ، مما يوجب على طالب العلم الرجوع إليها .

وللإنسان بعد استيعاب ماسبق إثباته من الحقائق العلمية ، أن يتناولها بالتطوير والإضافة متخذاً التجربة طريقاً لإثبات الحقائق العلمية المستحدثة، ولقد كان فى القصص القرآنى من الموجهات الإسلامية نحو اتخاذ التجربة طريقاً لإثبات الحقائق مايتضح فى التفسير بالمأثور لقوله تعالى: "فقلنا اضربوه ببعضها كذلك يحيى الله الموتى ويريكم أياته لعلكم تعقلون" (البقرة : ٧٣) ، عن أبى العالية قال : "أمرهم موسى ان يأخذوا عظماً منها فيضربوا به القتيل ففعلوا، فرجع إليه

---

(١) عن الحسن البصرى (سنده) "حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا معتمر بن سليمان عن إياس بن دغفل عن الحسن البصرى" .

- عن الضحاك بن مزاحم (سنده) : "حدثنا وكيع قال ثنا أبى عن سلمة بن نبيط عن الضحاك بن مزاحم" .

- عن قتاده (سنده) : "حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة" .

- **تفسير الطبرى** : حـ٤ ، ص١٠٠ .

(٢) عن سفيان بن عيينه (سنده) : "حدثنا سوار بن عبد الله العنبرى قال قال سفيان" .

- **تفسير الطبرى** : حـ٤ ، ص١٠١ .

روحه فسمى لهم قاتله ثم عاد ميتاً كما كان" وقال أبو جعفر الطبرى : "أمرهم بالاعتبار بما كان منه جل ثناؤه من إحياء قتيل بنى اسرائيل بعد مماته فى الدنيا واخبرهم أنه كذلك يحيى الموتى بعد مماتهم ويبعثهم بعد البعث"(١) .

ومن ذلك أيضاً ماورد فى التفسير بالمأثور لقوله تعالى : "أو كالذى مر على قرية وهى خاوية على عروشها قال أنى يحيى هذه الله بعد موتها فأماته الله مائة عام ثم بعثه قال كم لبثتَ قال لبثتُ يوماً أو بعض يوم قال بل لبثت مائة عام فانظر إلى طعامك وشرابك لم يتسنه وانظر إلى حمارك ولنجعلك أية للناس وانظر إلى العظام كيف ننشزها ثم نكسوها لحماً فلما تبين له قال أعلم أن الله على كل شيىء قدير" (البقرة : ٢٥٩) ، عن قتادة قال : ذكر لنا أنه بيت المقدس أتى عليه عزير بعدما خربه بختنصر البابلى ، وذكر لنا أنه مات ضحى ، ثم بعث قبل غيبوبة الشمس فقال لبثت يوماً ، ثم التفت فرأى بقيه من الشمس فقال أو بعض يوم ، فقال بل لبثت مائة عام" وقال قتاده بنفس الاسناد : "وذكر لنا أنه أول ماخلق الله منه رأساً ثم ركبت فيه عيناه ثم قيل له انظر فجعلت عظامه تواصل بعضها إلى بعض، وبعين نبى الله عليه السلام كان ذلك فقال أعلم أن الله على كل شيىء قدير.(٢)

كذلك ضرب الله مثلاً لنبيه إبراهيم عليه السلام ، إذ طلب من الله أن يريه كيفية إحياء الموتى، قال تعالى : "وإذ قال إبراهيم رب أرنى كيف تحيى الموتى قال أو لم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبى قال فخذ أربعة من الطير فصرهن إليك ثم اجعل على كل جبل منهن جزءاً ثم ادعهن يأتينك سعياً وأعلم أن الله عزيز حكيم" (البقرة : ٢٦٠) ، وردت فى التفسير بالمأثور لهذه الأية أقوال

---

(١) عن أبى العاليه (سنده) : "حدثنى المثنى قال ثنا أدم قال ثنا أبو جعفر عن الربيع عن أبى العالية" .

- تفسير الطبرى : حـ١ ، ص٢٨٦ .

(٢) عن قتاده (سنده) : "حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة" .

- تفسير الطبرى : حـ٣ ، ص١٩ : ٣٢ .

عديده توضح معناها وتذكر أسباب سؤال إبراهيم عليه السلام وهى أنه أحب أن يترقى من علم اليقين إلى عين اليقين وأن يرى ذلك مشاهدة . ويقول ابن كثير فى تفسيره : "أن المسأله من إبراهيم عليه السلام لم تعرض من جهة الشك ، ولكن من قبل زيادة العلم بالعيان ، فإن العيان يفيد من المعرفة والطمأنينة مالا يفيده الاستدلال"(١) .

وتوضح هذه القصص الموجهات الإسلامية نحو اتخاذ التجربة طريقاً لإثبات الحقائق ، فقد كان فى المشاهدة العينية لواقعة إحياء الموتى طريقاً لإثبات حقيقة البعث "وكذلك يحيى الله الموتى ويريكم أياته لعلكم تعقلون" (البقرة ٧٣) ، إلى جانب مافيها من عظات وعبر تؤكد قدرة الله تعالى على ذلك .

ويتضح مما سبق أن للعلم مصدراً بشرياً يطلبه بنو أدم مما تراكم لدى السابقين والمعاصرين من خبرات ومعارف ، إلى جانب مايصلون إليه بتفكيرهم وخبراتهم وتجاربهم ، واستخدامهم مامنحهم الله من أدوات تعينهم على اكتساب هذا العلم ، من مصادره الحقيقية ودونما الاعتماد على مجرد الظن أو التخمين .

**ثالثاً : أدوات الإنسان للوصول إلى العلم فى التفسير بالمأثور للقرآن الكريم : -**

من نعم الله على بنى أدم أن خلقهم الله مزودين بما يعينهم على اكتساب العلم ، فالإنسان يولد جاهلاً لايعلم شيئاً ، وهذه الحقيقة يؤكدها التفسير بالمأثور عن علي بن أبى طالب رضى الله عنه فى قوله تعالى : "ومنكم من يرد إلى أرذل العمل" (النحل : ٧٠) قال :-"يقول تعالى إنما نرده إلى أرذل العمل ليعود جاهلاً كما كان فى حال طفولته"(٢) ومتى بدأ الطفل يعى بدأت لديه القدرة

---

(١) تفسير ابن كثير : حـ١ ، ص٣١٥ .

(٢) عن على بن ابى طالب (سنده) : "حدثنى محمد بن اسماعيل الغزارى ثنا محمد بن سوار ثنا أسد بن حمران عن سعد بن طريف عن الأصبغ بن نباته عن على بن ابى طالب" .

- تفسير الطبرى : حـ١٤ ، ص٩٤ .

على استخدام مامنحه الله من أدوات لاكتساب العلم شيئاً فشيئاً ، قال تعالى : "والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لاتعلمون شيئاً وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة لعلكم تشكرون" (النحل : ٧٨) ، يقول الطبرى فى تفسير الأية الكريمة : والله أعلمكم مالم تكونوا تعلمون من بعد ماأخرجكم من بطون أمهاتكم لاتعلمون شيئاً ولاتعقلون ، فرزقكم عقولاً تفقهون بها وتميزون بها الخير من الشر ، وبصركم مالم تكونوا تبصرون ، وجعل لكم السمع الذى تسمعون به الأصوات فيفقه بعضكم عن بعض ماتتحاورون به بينكم ، والأبصار التى تبصرون بها وتميزون بها بعضاً عن بعض"(١) .

وماسبق توضيحه من أن القلب ذكر فى بعض الأيات وقصد به العقل يظهر فى هذه الأية، ففى تفسير قوله "والأفئدة" يقول الطبرى : "والقلوب التى تعرفون بها الأشياء ، فتحفظونها وتفكرون فتفقهون بها"(٢) . وهذه الوظائف التى ذكرها توضح أن المقصود بالفؤاد فى هذا الموضع من أيات القرآن الكريم هو العقل .

أما الأدوات التى أنعم الله بها على الإنسان لتعينه على اكتساب العلم ، فيمكن تناولها من خلال التفسير بالمأثور لأيات القرآن الكريم فيما يلى :

**أولاً : العقـــــل :**

العقل هو الأداة الأساسية التى وهبها الله للإنسان لاكتساب العلم ، لذلك كان الفهم وإدراك الحقائق والوصول إلى العلم فى الإسلام تعقلاً ، وكان العالمون هم الذين يعقلون ، وفى تفسير قوله تعالى : "وتلك الأمثال نضربها للناس ومايعقلها إلا العالمون" (العنكبوت : ٤٣) . قال أبو جعفر الطبرى : "ومايعقل أنه أصيب بهذه الأمثال التى نضربها للناس منهم الصواب والحق فيما ضربت له مثلاً إلا العالمون بالله وأياته"(٣) .

---

(١) تفسير الطبرى : حـ ١٤ ، ص١٠٢ .

(٢) نفس المرجع .

(٣) تفسير الطبرى : حـ ٢٠ ، ص٩٨ .

وقال ابن كثير فى تفسير هذه الأية : "مايعقلها أى مايفهمها ويتدبرها إلا الراسخون فى العلم المتضلعون فيه[١] ، وعن عمرو بن العاص رضى الله عنه قال : "عقلت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ألف مثل[٢] ، فعقلت هنا بمعنى علمت .

ومما يؤكد أن الذين يعقلون هم العلماء ماجاء فى التفسير بالمأثور لقوله تعالى : "يسمعون كلام الله ثم يحرفونه من بعد ماعقلوه وهم يعلمون" (البقرة : ٧٥) عن مجاهد قال الذين يحرفونه والذين يكتمونه هم العلماء منهم[٣] ، ويتضح ذلك أيضاً فى تفسير قوله تعالى : "كذلك يبين الله لكم أياته لعلكم تعقلون" (البقرة : ٢٤٢) فقد قال أبو جعفر الطبرى : "يقول تعالى ذكره كما بينت لكم وعرفتكم أحكامى والحق والواجب لبعضكم على بعض فى هذه الأيات وذلك لتعقلوا أيها المؤمنون حدودى فتفهموا اللازم لكم من فرائضى وتعرفوا بذلك مافيه صلاح دينكم ودنياكم"[٤] ، والمتأمل للأفعال التى ذكرها أبو جعفر فى تفسيره للأية : لتعقلوا فتفهموا وتعرفوا يلاحظ تعاقب التعقل فالفهم فالمعرفة . وكلها وظائف العقل مما يوضح ماله من دور رئيسى فى اكتساب العلم .

والتعقل يكون قراءة ودراسة ففهم وعلم ، ففى تفسير قوله تعالى : "أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم وأنتم تتلون الكتاب أفلا تعقلون" (البقرة : ٤٤) قال أبو جعفر الطبرى : يعنى بقولـه تتلـون تدرسون وتقرأون"[٥] . والتعـقل هو التعلم والفهم وذلك كما ورد فى التفسيـر بالمأثور

---

(١) تفسير ابن كثير : حـ٣ ، ص٤١٤ .

(٢) عن عمرو بن العاصى (سنده) : "حدثنا اسحق بن عيسى حدثنى ابن لهيعة عن أبى قبيل عن عمرو بن العاصى .
- نفس المرجع .

(٣) عن مجاهد (سنده) : "حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن ابى نجيح عن مجاهد" .
- تفسير الطبرى : حـ١ ، ص٢٩١ .

(٤) تفسير الطبرى : حـ٢ ، ص٣٦٥ .

(٥) تفسير الطبرى : حـ١ ، ص٢٠٤ .

لقوله تعالى : "فقلنا اضربوه ببعضها وكذلك يحيى الله الموتى ويريكم أياته لعلكم تعقلون" (البقرة : ٧٣) يقول أبو جعفر : يعنى ذلك مخاطبة من الله عباده المؤمنين واحتجاج منه على المشركين المكذبين بالبعث وأمر لهم بالاعتبار بما كان منه جل ثناؤه من إحياء قتيل بنى اسرائيل بعد مماته فى الدنيا ويريكم الله أعلامه وحججه الدالة على نبوة محمد ليعلموا ويفهموا أنه محق صادق[١] ففى تفسير أبى جعفر لقوله لعلكم تعقلون قال لتعلموا وتفهموا .

ولقد ذكر فى التفسير بالمأثور للقرآن الكريم أن العقل هو الحكم وهو الفهم بكتاب الله وذلك كما جاء فى تفسير قوله تعالى "أولئك الذين أتيناهم الكتاب والحكم والنبوة" (الأنعام : ٨٩) قال أبو جعفر الطبرى : "يعنى تعالى ذكره بقوله أولئك هؤلاء الذين سميناهم من أنبيائه ورسله هم الذين أتيناهم الكتاب يعنى بذلك صحف ابراهيم وموسى وزبور داود وانجيل عيسى صلوات الله عليهم أجمعين والحكم يعنى الفهم بالكتاب ومعرفة مافيه من الأحكام ، عن مجاهد قال الحكم هو اللب" ، وفى تعريف أبى جعفر للب قال : "وعنى مجاهد أن اللب هو العقل فكأنه أراد أن الله أتاهم العقل بالكتاب وهو بمعنى من أنه الفهم به"[٢] .

ويتضح مما سبق أن العقل فى التفسير بالمأثور للقرآن الكريم هو الأداة الأساسية لاكتساب العلم ، وهناك أدوات وهبها الله للإنسان لتعين العقل على الفهم والتعقل وهذه الأدوات هى الرؤية والسمع وهى لاتعد أدوات أساسية بالقياس بالعقل الذى لو انعدم وجوده لما كان لهاتين الأداتين جدوى .

---

(١) **تفسير الطبرى** : حـ١ ، ص٢٨٦ .

(٢) عن مجاهد (سنده) : "حدثنى المثنى قال ثنا مسلم بن ابراهيم قال ثنا ابان قال ثنا مالك بن شداد عن مجاهد" .
- تفسير الطبرى : حـ ٧ ، ص١٧٤ .

## ثانياً : السمـــع :

السمع من الأدوات التى وهبها الله للإنسان لتعينه على تعقل الأمور والعلم بها ، وفى التفسير بالمأثور لقوله تعالى: "يسمعون كلام الله ثم يحرفونه من بعد ماعقلوه وهم يعلمون" (البقرة : ٧٥) عن محمد بن اسحق قال عن بعض أهل العلم أنهم قالوا ياموسى قد حيل بيننا وبين رؤية الله عز وجل فأسمعنا كلامه حين يكلمك ، فطلب ذلك موسى إلى ربه ، قال نعم فمرهم فيتطهروا وليطهروا ثيابهم ويصوموا ففعلوا ثم خرج بهم حتى أتى الطور فلما غشيهم الغمام أمرهم موسى عليه السلام فوقعوا سجوداً وكلمه ربه فسمعوا كلامه يأمرهم وينهاهم ، حتى عقلوا ماسمعوا ثم انصرف بهم إلى بنى اسرائيل فلما جاؤهم حرّف فريق ماأمرهم به"[١] ويقول الطبرى : "إن الله تعالى عنى بذلك من سمع كلامه من بنى اسرائيل ثم حرّف ذلك وبدل من بعد سماعه وعلمه به وفهمه إياه[٢] ، ويتفق هذا مع ماجاء فى تفسير قوله تعالى : "والله أنزل من السماء ماء فأحيا به الأرض بعد موتها أن فى ذلك لأية لقوم يسمعون" (النحل : ٦٥) قال أبو جعفر : "يقول تعالى ذكره إن فى احيائنا الأرض بعد موتها ومأأنزلنا من السماء من ماء لدليلاً واضحاً وحجه قاطعة عذر من فكر فيه لقوم يسمعون هذا القول فيتدبرونه ويعقلونه ويطيعون الله بما دلهم عليه"[٣] .

ففى الأية الأولى أن قوم موسى قد حرفوا كلام الله من بعد علمهم به فهم قد سمعوه وعقلوه، فالتعقل هو العلم الذى اعتمد على السمع ، وفى الأية الثانية يدعو الله المؤمنين الى سماع دليله وحجته ليتأملوا ويتدبروا فيفهموا ويعقلوا، وهو كما جاء فى تفسير ابن كثير لقوله تعالى : "ياأيها الناس ضرب مثل فاستمعوا له..." (الحج : ٧٣) قال ابن كثير : "أى انصتوا وتفهموا"[٤].

---

(١) عن محمد بن اسحق (سنده) : "حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن محمد بن اسحق .
- **تفسير الطبرى** : حـ١ ، ص٢٩١ .

(٢) نفس المرجع .

(٣) **تفسير الطبرى** : حـ١٤ ، ص٨٨ .

(٤) **تفسير ابن كثير** : حـ٣ ، ص٢٣٥ .

والسمع قد يصل بالإنسان إلى الإيمان، والإيمان لايكون إلا بالفهم والتعقل التام ومن ذلك ماجاء فى تفسير قوله تعالى: "وإنا لما سمعنا الهدى أمنا به" (الجن : ١٣) قال أبو جعفر الطبرى: "وإنا لمّا سمعنا القرآن الذى يهدى إلى الطريق المستقيم صدقنا به وأقررنا أنه الحق من عند الله"(١)، لذلك كان المشركون حريصين على النهى عن سماع القرآن خوفاً من أن يفهمه السامع فيعقله ويؤمن به، وهذا ماورد فى التفسير بالمأثور لقوله تعالى: "وقال الذين كفروا لاتسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم تغلبون" (فصلت : ٢٦) عن معمر قال: قالوا تحدثوا وصيحوا كيما لاتسمعوه، لعلكم بفعلكم هذا تصدون من أراد استماعه فلا يسمعه، وإذا لم يسمعه لم يفهمه ولم يتبعه"(٢) .

فالسمع من أدوات الانسان التى تعينه على الوصول إلى العلم وعلى التعلم ، عن ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تَسمعون ويُسمع منكم ، ويُسمع ممن سمع منكم" فالمراد أن الصحابة يسمعون ويتعلمون من إمامهم معلم الخير صلى الله عليه وسلم والتابعون لهم يسمعون منهم ماتعلموا ثم يَسمع منهم تلاميذهم العلماء الأيمة ، وهكذا أداء للأمانة وإبلاغاً للرساله.(٣)

## ثالثاً : الرؤيـــة :

قال أبو جعفر فى تفسير قوله تعالى : "ويريكم أياته لعلكم تعقلون" (البقرة : ٧٣) ، "إذ لما أراد تعليمهـــم وإفهامهم أراهم أيتـــه عيان حتى يعقلوها ويفهموا فيؤمنوا.(٤) فالرؤية أداة يتوسـل

---

(١) تفسير الطبرى : حـ٢٩ ، ص٧١ .

(٢) عن معمر (سنده) : حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر .

- تفسير الطبرى : حـ٢٤ ، ص٧٢ .

(٣) عن ابن عباس (سنده) : "حدثنا أسود بن عامر حدثنا أبو بكر عن الأعمش عن عبد الله بن عبد الله عن سعيد بن جبير عن ابن عباس" .

- الإمام أحمد ابن حنبل : المسند ، مرجع سابق ، حـ٤ ، رقم ٢٩٤٧ ، ص٣٤٠ .

(٤) تفسير الطبرى : حـ١ ، ص٢٨٦ .

بها الإنسان للتعلم ، وفى التفسير بالمأثور لقوله تعالى : "ربنا وأجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك وأرنا مناسكنا" (البقرة : ١٢٨) ، قال على بن أبى طالب رضى الله عنه : لما فرغ ابراهيم من بناء البيت قال أى رب فأرنا مناسكنا أبرزها لنا علمناها ، فبعث الله جبريل فحج به"(١) .

وتتضح أهمية الرؤية فى اكتساب العلم فيما جاء فى التفسير بالمأثور لقوله تعالى: "وعلّم آدم الأسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة" (البقرة : ٣١) عن الحسن وقتاده قالا علمه اسم كل شيىء هذه الخيل وهذه البغال ومأأشبه ذلك وجعل يسمى كل شىء باسمه ، وعرضت عليه أمة أمة"(٢)، ولقد بلغ من أهمية الرؤية كوسيلة للعلم وعرضت عليه أى رأها بعينيه كى يعلمها ويعرفها، كما قال أبو جعفر : "أن العرب تضع العلم مكان الرؤية والرؤية مكان العلم ، وقال بعضهم أن دليل ذلك أيتان : الأولى هى قوله : "ألم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل" فقالوا أن معنى ألم تر ألم تعلم ، والثانيه فى قوله : "وماجعلنا القبلة التى كنت عليها إلا لنعلم من يتبع الرسل ممن ينقلب على عقبيه : (البقرة : ١٤٣) فزعموا أن معنى إلا لنعلم إلا لنرى" ولكن أبا جعفر الطبرى : لم يقبل من هذين القولين سوى أحدهما فقد قبل أن تكون الرؤية خبراً عن العلم كما فى الأية الأولى لأنه يستحيل أن يرى المرء شيئاً إلا علمه ، أما القول بأن العلم خبر عن الرؤيا فلم يقبله لان المرء قد يعلم أشياء كثيرة لم يرها ولن يراها ، وأكد أبو جعفر على ذلك بتفسير الأية الثانية فقال أن قوله تعالى : "إلا لنعلم من يتبع الرسول" ليست بمعنى إلا لنرى لأن الله جل ثناؤه هو العالم

---

(١) عن على بن ابى طالب (سنده) : "حدثنا الحسن بن يحيى قال اخبرنا عبد الرازق قال اخبرنا ابن جريج قال قال المسيب قال على بن أبى طالب" .

- **تفسير الطبرى** : حـ١ ، ص٤٣٤ .

(٢) عن الحسن وقتاده (سنده) : "حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن جرير بن حازم ومبارك عن الحسن وقتادة" .

- **تفسير الطبرى** : حـ١ ، ص١٧٢ .

بالأشياء كلها قبل كونها وقوله إلا لنعلم معناه إلا ليعلم رسولى وحزبى وأوليائى من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه.[1]

فالرؤية وسيلة للتعقل والاعتبار، والمؤمن يرى بنور الله وفى سورة الحجر بعد أن ذكر الله تعالى خبر إهلاكه قوم لوط وتعذيبهم قال تعالى: "إن فى ذلك لأيات للمتوسمين" (الحجر : ٧٥) ، وفى التفسير بالمأثور للأية عن ابن عباس للمتوسمين قال للناظرين وعن الضحاك مثله، وعن قتادة للمتوسمين قال للمعتبرين، وعن مجاهد للمتوسمين قال المتفرسين، وعن أبى سعيد قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله ثم قرأ "إن فى ذلك لأيات للمتوسمين"[2].

والرؤية لاتقتصر على البصر بل قد تكون الرؤية بالقلب وسيلة للوصول إلى العلم ، وذلك كما جاء فى تفسير قوله تعالى : "ألم تر إلى الملأ من بنى اسرائيل من بعد موسى إذ قالوا لنبى لهم ابعث لنا ملكاً نقاتل فى سبيل الله" (البقرة : ٢٤٦) قال أبو جعفر الطبرى : "يعنى تعالى ذكره ألم تر يامحمد بقلبك فتعلم بخبرى إياك عن وجوه بنى اسرائيل من بعد ماقبض موسى ... الخ.[3]، وفى التفسير بالمأثور لقوله تعالى : "ماكذب الفؤاد مارأى" (النجم :١١) عن ابن عباس قال : رأى محمد ربه عز وجل بقلبه مرتين"[4] . وربما تكون الرؤية بالقلب فيضاً من الإلهام اختص الله به

---

(١) تفسير الطبرى : حـ ٢ ، ص ٩ . .

(٢) عن ابن عباس (سنده) : "حدثنى المثنى قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاويه عن على عن ابن عباس" .
عن قتادة (سنده) : "حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة" .
عن مجاهد (سنده) : "حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد" .
عن أبى سعيد (سنده) : "حدثنى محمد بن عمارة قال ثنى حسن بن مالك قال محمد بن كثير عن عمرو بن قيس . عن عطية عن أبى سعيد" .
- تفسير الطبرى : حـ١٤ ، ص٣٢ .

(٣) تفسير الطبرى : حـ٢ ، ص٣٧٣ .

(٤) عن ابن عباس (سنده) : "حدثنا أبو معاوية ثنا الأعمش عن زيادة بن الحصين عن أبى العاليه عن ابن عباس".
- الإمام أحمد بن حنبل : المسند ، مرجع سابق ، حـ٣ ، رقم ١٩٥٦ ، ص٢٩٤ .

أنبياءه وعباده الصالحين ، لذلك كانت الأيات التى حملت هذا المعنى مقصورة على رسول الله صلى الله عليه وسلم .وقال أبو جعفر الطبرى : فى تفسير قوله "ألم تر إلى الذين أوتوا نصيباً من الكتاب" (آل عمران : ٢٣) اختلف أهل التأويل فى معنى قوله جل ثناؤه ألم تر ، فقال قوم معناه ألم تخبر ، وقال أخرون معناه ألم تعلم والصواب من القول فى ذلك ألم تر بقلبك يامحمد علماً إلى الذين أوتوا نصيباً من الكتاب وذلك أن الخبر والعلم لايجليان رؤية ولكنه رؤية القلب بالعلم[١] فالرؤية من الأدوات الهامة التى تعين على التعقل والوصول إلى العلم ولو لم تكن إبصاراً بالعين .

ولقد ذكرت هذه الأدوات : العقل - السمع - الرؤية ، التى تعين الإنسان على الوصول إلى العلم مجتمعه فى أية قرآنية واحدة حيث ذكر فيها القلب وقصد به العقل - كما سبق توضيح ذلك-(*) كما ذكر فيها السمع والبصر كلاهما وذلك فى قوله تعالى : "أفلم يسيرا فى الأرض فتكون لهم قلوب يعقلون بها أو أذان يسمعون بها فإنها لاتعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التى فى الصدور" (الحج : ٤٦) ويقول أبو جعفر الطبرى فى تفسيرها : أفلم يسير هؤلاء المكذبون بأيات الله فى البلاد فينظروا إلى مصارع ضربائهم من مكذبى رسل الله فيتفكروا فيها ويعتبروا بها ويعلموا بتدبرهم أمرها سنة الله فيمن كفر وعبد غيره..[٢]

وافتقاد هذه الوسائل المعينة للعقل من سمع وبصر يعوقه عن الفهم والإدراك والعلم وفى التفسير بالمأثور لقوله تعالى : "صم بكم عمى فهم لايعقلون" (البقره : ١٧١) عن ابن عباس "صم بكم" يقول لايسمعون الهدى ولايبصرونه فلا يعقلونه"[٣] ، وفى التفسير بالمأثور لقوله تعالى : "ولاتكونوا كالذين قالوا سمعنا وهم لايسمعون ، إن شر الدواب عند الله الصم البكم الذين لايعقلون" (الأنفال : ٢١ ، ٢٢) قال أبـو جعفر الطبرى : "ولاتكونوا أيها المؤمنون كالمشركين الذيـن إذا

---

(١) تفسير الطبرى : حـ٥ ، ص٧٤ .

(*) انظر الفصل السابق : ص ١١٢.

(٢) تفسير الطبرى : حـ٧ ، ص١٣٩ .

(٣) عن ابن عباس (سنده) : "حدثنى المثنى قال ثنا أبو صالح قال حدثنى معاوية عن على بن أبى طلحة عن ابن عباس" - تفسير الطبرى : حـ٢ ، ص٤٩ .

سمعوا كتاب الله يتلى عليهم قالوا قد سمعنا بأذاننا وهم لايعتبرون به لإعراضهم عن أن يتدبروه ويتفهموه بعقولهم فجعلهم الله بمنزلة من لم يسمعها ، إن شر مادب على الأرض من خلق الله عند الله الذين يصغون عن الحق لئلا يستمعوه فيعتبروا به ، عن عكرمة وكانوا يقولون إنا صم بكم عما يدعو إليه محمد ، ولانسمعه منه ولانجيبه بتصديق فقتلوا جميعاً بأحد وكانوا أصحاب اللواء"[1].

لذلك حذر الله المنافقين فى قوله تعالى : "ولو شاء الله لذهب بسمعهم وأبصارهم إن الله على كل شيىء قدير" (البقره : ٢٠) عن ابن عباس ولو شاء الله لذهب بسمعهم وأبصارهم لما تركوا من الحق بعد معرفته"[2] ، وذلك لأنهم توصلوا إلى معرفة الحق بسمعهم وأبصارهم ، ورغم ذلك أنكروا هذا الحق ، فتوعدهم الله بحرمانهم من أدوات المعرفة هذه .

لقد وهب الله الإنسان قدراً من علمه الواسع ، فكان هذا العلم نعمة عظمى كرم الله بها هذا المخلوق ، وفضله بها على غيره من المخلوقات، ومن خلال التفسير بالمأثور للقرآن الكريم تبينت المنزلة العظيمة التى نالها العلماء فى الإسلام ، والدرجات العالية التى رفعوا إليها ، حتى صاروا فى مصاف الملائكة والرسل ، كما ذكرهم الله كثيراً فى كتابه القرآن الكريم بعدة مسميات ونعوت فهم العلماء العالمون ، أولو العلم، والذين أوتوا العلم ، وهم الراسخون فيه ، والعالم هو السيد .

كما اتضحت طبيعة هذا العلم ، الذى دعا الاسلام إليه وحث على طلبه ، حتى صار العلم واجباً على كل إنسان ، كما صار حقاً له ، فكان العلم شاملاً للعلوم الدينية المتعلقة بمصدرى الدين:

---

(١) عن عكرمه (سنده) : "حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج قال قال ابن جريج عن عكرمة" .

- **تفسير الطبرى** : جـ٩ ، ص١٤٠ .

(٢) عن ابن عباس (سنده) : "حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق عن محمد بن أبى محمد عن عكرمه أو عن سعيد بن جبير عن ابن عباس .

- **تفسير الطبرى** : حـ١ ، ص١٢٤ .

القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة ، ومنها علم التفسير والقراءات وأسباب النزول والناسخ والمنسوخ ، والحديث والفقه والعبادات والشرائع والأحكام وغيرها .

كما شمل العلم أيضاً علوماً تتعلق بالجانب الدنيوى وتستقيم بها حياة الإنسان فى هذا الكون ، فهى تعينه على التقدم فى الحياة ، والسير فى ركب الحضارة ؛ لتعمير هذه الأرض تنفيذاً لأمر الله بذلك .

واتضح من خلال التفسير بالمأثور لأيات القرآن الكريم ، أن الله سبحانه وتعالى فتح أمام الانسان طريق هذه العلوم ، بل وعلمه أوليات كثير منها ؛ ليحرضه على الانطلاق فى البحث عن الحقائق العلميه ، ووضع الأسس الثابته لهذه العلوم .

ومن هذه العلوم التى علم الله الإنسان أولياتها من خلال أيات القرآن الكريم مايتعلق بطرق كسب الرزق كتربية الحيوان والانتفاع به وتدريبه على الصيد بأنواعه وكالصناعة ، ومنها مايتعلق بالحساب وتدوينه وبالفلك ، ومايتعلق بالحياة الاجتماعية والانسانية كتنظيم المجتمعات وحقوق الانسان والتربية الشاملة .

والعلم إلهى المصدر ، فالله هو العليم ، وعلمه الواسع أحاط بكل مخلوقات الدنيا فى السماء والأرض ، وبكل ماشمله عالما الغيب والشهادة ، كما يعلم الله كل شيىء عما يظهره الإنسان ومايخفيه ، ويعلم ماينفعه ومايضره فيرشده إلى مافيه خيره ونفعه ، ويحذره مما فيه الضرر، فإن الله يعلم والناس لايعلمون، "إنما إلهكم الله الذى لاإله إلا هو وسع كل شيىء علماً" (طه : ٩٨).

وامتن الله تعالى على عباده بقدر من علمه الواسع ، سمح لهم به مع بدايه الخليقه ، منذ علم أدم عليه السلام أسماء الأشياء كلها ، ومنذ علم رسله وأنبياءه ماشاءه لهم من العلم ، كذلك علم الله آل أنبيائه وأقوامهم، ويبين التفسير بالمأثور لأيات القرآن الكريم أن هناك من بنى أدم من علمهم الله ويعلمهم بطريق الفيض والإلهام ، فمنهم من يؤته الله فهماً فى القرآن ، ومنهم من يؤته

الفقه والحكمة كما آتى لقمان الحكمة والفقه ولم يكن نبياً ، وكما أوحى إلى أم موسى بإلهام وليس بوحى نبوة، فالله يؤتى الحكمة من يشاء من عباده .

أما الذين لم يؤتهم الله العلم مباشرة عنه أو عن رسله ، ولاتلقوه عن طريق الفيض والإلهام ، فقد أودع الله لهم القدر الذى شاء لهم فى مصادره ، ودعاهم إلى بلوغ تلك المصادر ، والاهتداء إلى ذلك القدر من العلم مزوداً إياهم بالأدوات التى تعينهم على ذلك ، من عقل وحواس لكل منها دوره ووظائفه .

وكما آمن الإسلام بدور العقل والحواس لدى الإنسان فى بلوغ الإيمان بالله ، فقد دعاه إلى الالتفات بهم الى الكون للدراسة والاستيعاب تحقيقاً للنفع والفائدة ، ودونما الانخراط والذوبان فيه؛ لأن الطبيعة متغيرة، وحق عليه أن يبحث عن الحقيقة الثابتة .

وأصبح مفروضاً على الإنسان بحكم طبيعته التى فطره الله عليها أن يكون مندفعاً إلى البحث عن كل غامض مستور فى الكون المحيط به وفى حدود ماتسمح به امكاناته التى أنعم الله بها عليه ، فلايقف من المجهول مكتوف الأيدى ، ولايقنع من الحياة بمظاهر أشكالها ، وإنما يتناولها بالفكر وإعمال البصر والبصيرة ، ويعللها على قدر ماتسمح به قدراته ، حتى يكون هذا من أهم الدوافع الى كشف المجاهيل ومن أهم الموجهات الى البحث عن الحقيقة والايمان بالله .

وقد اعطى الله بنى أدم القدوة الصالحة فى حرص رسله وانبيائه على طلب العلم ، وفى قيامهم بتعليم أهليهم ، فكان لازماً على كل انسان أن يسعى لطلب العلم وقد حثه الإسلام على ذلك، وفتح أمام الفكر الإنسانى أبواب المعرفة ، ودعاه إلى التعامل مع الواقع وعدم الانغلاق دونه، واعطاه الموجهات التى تضمن له حسن وسلامة هذا التعامل .

فقد تبين أن للعلم مصدراً بشرياً يطلبه بنو أدم مما تراكم لدى السابقين والمعاصرين من خبرات ومعارف ، إلى جانب مايصلون إليه بتفكيرهم وخبراتهم وتجاربهم ، واستخدامهم مامنحهم الله من أدوات تعينهم على اكتساب هذا العلم من مصادره الحقيقية ، ودونما الاعتماد على مجرد الظن والتخمين والتقليد .

وتتمثل الأدوات التى تعين الإنسان على اكتساب العلم فى العقل وهو أداة أساسية لما يقوم به من وظائف عديدة كالتفكر والتأمل والتعقل والفهم والتفقه والعلم .

وهناك أدوات وهبها الله للإنسان لتعين بوظائفها العقل على الفهم والتعقل فالأذن أداة السمع تعين على الفهم وقد تصل بالإنسان الى الايمان ، والرؤية وسيلتها العين المبصرة والقلب المبصر أيضاً ، فالمؤمن يرى بعينه وبقلبه ويرى أيضاً بنور الله ، وهذه الرؤية وسيلته للتحقق والتعقل والاعتبار والعلم واليقين .

وافتقاد الوسائل المعينة للعقل من سمع وبصر يعوقه عن الفهم والادراك والعلم، لذلك توعد الله الذين توصلوا الى معرفه الحق ثم انكروه أن يحرموا هذه الوسائل التى استعانوا بها فى معرفة الحق بسبب إنكارهم إياه .

ورغم هذا الاتساع فى مجالات العلم فإنه لايكتفى به ، لأن العلم غذاء للعقل ، والتعليم وسيلة من وسائل التربية فى توجهها نحو العقل الانسانى توجهاً تنموياً تطويريا ، ولكن الطبيعة الانسانية ليست عقلاً فقط ، وانما تتكون الى جانب العقل من الروح والقلب والجسد ، وكل من هذه المكونات فى حاجة الى النمو والاصلاح ، وهذا ماتضطلع بها التربية فى توجهها الشمولى نحو الطبيعة الانسانية ، ولذا كانت التربية أكثر شمولاً من التعليم من حيث أن موضوعها الإنسان بكل مكونات طبيعته الإنسانية .

وهذا ماحدا بالباحثة الى تخصيص الفصل القادم من الدراسة للبحث عن التربية فى التفسير بالمأثور للقرآن الكريم .